

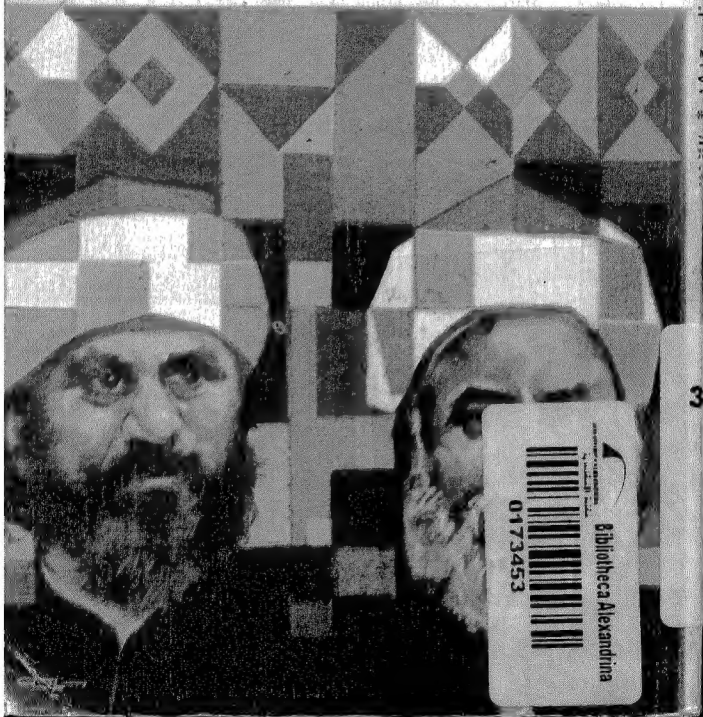
كتاب الهلال



الأفغانى ومحمد عبده

و.س. بلنت • د. على شلش

سلسلة
ثقافية
شهرية



كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة: مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير: مصطفى نبيل

سكرتير التحرير: عايد عياد

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٦٢٥٤٥٠ • سبعة خطوط

KTAB ALHILAL

العدد ٤٢١ - ربيع الثاني ١٤٠٦ - يناير ١٩٨٦

NO . 421 - january 1986

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر
العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد
العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا او ما يعادلها
بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد

اهداءات ٢٠٠١

الهلال فى
الخارج يتسبل
البريد المسجل

المستشار / رابع لطفي جمعة

القاهرة

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الافغانستاني ومحمد عبده

تأليف
و. س. بليست

ترجمه
د. علي شلش

دار الهلال

مقدمة

على طول التاريخ الحديث اجتذب الوطن العربى كثيرين من الاوربيين الذين ساحوا فى ربوعه ، أو غامروا بين اهله ، أو تعلقوا بترائه .

ومن هؤلاء رجل انجليزى توسع فى السياحة فى ربوع الوطن العربى وعشق بواديه وحواضره ، وصادق الكثيرين من بسطائه وكبرائه ، ونذر نفسه للدفاع عن حرية شعوبه واستقلالها ، وتبنى الدعوة الى توحيد صفوف المسلمين لمجابهة الزحف الأوربى المسيحى على بلاد الاسلام والمسلمين ، ابتداء من الهند الى الجزائر ، دون أن يشغله ذلك عن الدفاع - أيضا - عن حرية ايرلندا الكاثوليكية وحققها فى الاستقلال .

كان الرجل من أوائل أصحاب فكرة إعادة الخلافة الاسلامية الى العرب واستقلالهم عن الترك ، وكان أول انجليزى ناصر الحركة الوطنية فى مصر ، وساندها منذ أواخر عهد اسماعيل حتى نشوب ثورة ١٩١٩ ، وعرف رجالها معرفة شخصية ، وكان بيته فى مصر وبيوته فى انجلترا مزارا ومرجعا ومقاما للكثير من الشخصيات التى ارتبطت بهذه الحركة مثل الأفغانى وعرابى والبارودى ومحمد عبده وعبد الله النديم ومصطفى كامل ومحمد فريد . بل تكفل بنفقات الدفاع عن عرابى عند محاكمته بعد الاحتلال الانجليزى لمصر . وأصدر فى شيخوخته مجلة فى لندن للدفاع عن مصر .

كان هذا الرجل ايضا فنانا مصورا ونحاتا وشاعرا ، أشبه بابن بطوطة فى أسفاره المتعددة وحبه لتسجيل خواطره ومشاهداته . وكان يتميز ، فوق هذا كله ، بحاسة المؤرخ . وتعد كتبه من هذه الناحية مرجعا لاغنى عنه ، لا فى تاريخ الوطن العربى فحسب وإنما فى تطوره السياسى و الجغرافى والعمرانى أيضا . اسمه بالكامل : ويلفرد سكاون بلنت . وشهرته « بلنت » بكسر الباء وفتح اللام . وقد عاش ٨٢ عاما (١٨٤٠ - ١٩٢٢) قضى نحو نصفها فى بلاد المسلمين التى نكبت باحتلال قومه . وقد سجل بلنت فى اربعة من كتبه الضخمة قصة علاقته بالافغانى وتلميذه محمد عبده ، وهى قصة لم تظهر تفاصيلها بالعربية من قبل . ومع أن كتابه عن احتلال الانجليز لمصر قد ترجم الى العربية فيبدو ان كتبه الأخرى لم يهتم بها احد ممن كتبوا تاريخ الافغانى وعبده ، فضلا عن انه من الصعب اليوم ترجمتها كاملة ، لا لأنها كتب ضخمة ، ولكن لأنها مليئة بأحداث وشخصيات أخرى انجليزية وهندية وغيرها مما لا يهمننا . ولكنى وجدت من الأنسب أن أنقل ما يخص الافغانى ومحمد عبده فى كتب بلنت الأربعة ، وان أشرح ما يدعو الى الشرح داخل أقواس بدلا من الهوامش - قدر الامكان - حتى تسهل القراءة والمتابعة . أما هذه الكتب الأربعة فهى على الترتيب :

- ١ - التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر .
 - ٢ - الهند فى عهد رييون .
 - ٣ - جورديون فى الخرطوم .
 - ٤ - يومياتى : جزاءن .
- وقد كان بلنت نفسه فى هذه الكتب اقرب الى المؤرخين العرب القدماء ، ولا سيما عبد الرحمن الجبرتى ، فى تسجيله للتاريخ . فهو يعتمد على اليوميات ، يسجلها أولا بأول ، ويوما بعد يوم . وهو أيضا يدون يومياته بتلقائية وعفوية ز صحتين . وليس من المستبعد أن يكون قد تأثر بالجبرتى أو اعجب بمنهجه . فقد اشار

اليه فى إحدى يومياته فى القاهرة قبل ١٨٨٥ يضع كتبه هذه على الورق . وكان قد قرأ له كتابه الكبير « عجائب الآثار » مترجما الى الانجليزية . وأبدى إعجابه به .

غير ان كتب بلنت هذه تشكل فى الحقيقة مادة فى غاية الاهمية بالنسبة لتاريخ الافغانى ومحمد عبده . وهى مادة ظلت مجهولة كل هاتيك السنين ، بالرغم من محاولات حافظ عوض ومحمد امين حسونة لنقل بعضها أو الاشارة اليه خلال الثلاثينات ، وبالرغم أيضا من ترجمة كتاب « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر » الذى طبعته صحيفة « البلاغ » مفرقا ثم جمع فى كتاب من ترجمة عبد اللطيف حمزة ، فى حين لم يترجم أحد كتابه الآخر « جوردون فى الخرطوم » الذى يتم زميله ويضم عددا لا يستهان به من الوثائق المهمة لفترة احتلال الانجليز مصر من ١٨٨٢ الى ١٨٨٥ . وقد لاحظت فيما ترجم من يوميات بلنت - فى صحيفة كوكب الشرق ١٩٢٢ ومجلة الرسالة ١٩٢٩ - انه يفتقر الى الكثير من الدقة والامانة فى النقل والتعبير ، وهذا ماحاولت ان اتحاشاه قدر طاقتى وامكانياتى .

واعتقد ان كتابة تاريخ الافغانى وتلميذه محمد عبده وفهم حياتهما ونضالهما لايمان دون الرجوع الى هذه المادة التى تناثرت فى كتب بلنت السابقة .

بهذا كله أرجو أن اكون قد وضعت امام المؤرخين والدارسين للافغانى وعبده مادة لاغنى عنها

جمال الدين الأفغانى

المؤسس الحقيقي لحركة الإصلاح الدينى المستنير فى مصر

جاءت اول اشارة للأفغانى عند بلنت فى كتابه المشهور « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر » فقد قدم له سيرة مختصرة . قال :

« من الغريب ان المؤسس الحقيقى لحركة الإصلاح الدينى المستنير بين علماء الدين فى القاهرة لم يكن عربيا ولا مصريا ، ولا عثمانيا ، وانما كان رجلا عبقرىا برىا هو الشيخ جمال الدين الافغانى الذى شهدت أسيا الوسطى تجربته الوحيدة فى العالم قبل حضوره الى مصر ، ولد فى افغانستان ، وتلقى تعليمه الدينى فى بخارى . وفى تلك المنطقة النائية ، ودون أية صلة فيما يبدو بأى معلم من معلمى المراكز الأكثر تمدنا فى الفكر الاسلامى . قام بتطوير الأفكار التى ترتبط الآن باسمه من خلال دراسته وتأملاته الخاصة .

«وتكمن أصالة جمال الدين فى أنه سعى الى توجيه الثقافة الدينية فى البلاد التى زارها نحو ضرورة إعادة النظر فى الوضع الإسلامى ككل . ودعا الى ضرورة إعادة النظر ايضا فى اقامة حركة عقلية خارجية تتفق مع المعرفة الحديثة بدلا من التعلق بالماضى وحده . ومكنته معرفته الوثيقة بالقرآن والسنة من توضيح أن شريعة الاسلام اذا فسرت ونوقشت على أساس القرآن والسنة فهى قادرة عند ذاك على استيعاب اكثر التطورات تحررا ، وان هذه الشريعة لايعارضها اى تغيير صالح فى الحقيقة .

« لقد أتم دراساته سنة ١٨٧٠ م وكان في سن الثانية والثلاثين عند ذاك ، فسافر الى الهند حتى وصل الى بومباي . ثم حج الى مكة ، ثم جاء الى القاهرة وتوجه منها الى القسطنطينية . ولم يمكث في زيارته الاولى للقاهرة اكثر من ٤٠ يوما ، ولكنه تعرف خلالها الى بعض طلاب الازهر ، ووضع حجر الأساس للتعاليم التي طورها بعد ذلك وفي القسطنطينية ظهرت فصاحته وعلمه . وعين في « انجمن العلم » (دار العلوم) التي كان يحاضر فيها في كل الموضوعات . فقد كانت معرفته شاملة . وكان يتمتع بحضور البديهة وسرعتها ، وكذلك بذاكرة مدهشة ، حتى لقد قيل عنه انه يستطيع ان يقرأ كتابا في أى موضوع فيحفظه من القراءة الاولى كما لو كان نقش على لوح عقله الى الأبد . وقد بدا بتعليم النحو والعلوم ثم الفلسفة والدين وكون لنفسه معجبين واتباعا .

« ومع ذلك فمن الغريب ان روح النقد الجديدة في الاسلام العربى بدأت - كما حدث - على يد رجل تعلم فى بلد غير متقدمة كالتى فى آسيا الوسطى وفى جامعة نائية للغاية .

« لم يكن عمله فى القسطنطينية منتظما ولكنه كان مرموقا وان لم يدم طويلا »

وروى بلنت بعد ذلك ماحدث للأفغانى حين تالب عليه شيخ الاسلام فى العاصمة العثمانية فنصحه بالبعث بالعودة الى مصر . وقد روى ذلك بصورة قريبة جدا من الصورة المشهورة التى سبق ان رواها الشيخ محمد عبده فى تقديمه لترجمة « الرد على الدهريين » عام ١٨٨٦ . ومن المرجح ان بلنت قد رجع الى هذه المقدمة كما رجع الى الافغانى نفسه وتلميذه محمد عبده ، فيما عدا إشارته الى زيارة الافغانى للولايات المتحدة ، وهى زيارة لم يشر اليها هو ولا احد من تلاميذه اوكتاب سيرته . وقد اضاف بلنت بعبء ذلك ان الافغانى نقل لتلاميذه فى مصر « مستويات المعرفة المتنوعة التى يحملها ، وفعل ذلك دون تحفظ » كما ألهمهم « روحه النقدية وبعض شجاعته ... » وكانت الشجاعة فى الحقيقة أمرا

يحتاج اليه في تلك الايام أى رجل يريد ان يتكلم فقد كعم الخديو اسماعيل الاقواء فيما عدا الفلاحين واشد الناس فقرا في المدن . اما اصحاب السلطة الدينية العليا وكبار المسئولين فقد صمتوا طويلا إزاء الظلم واختاوا عدم الكلام . وربما كانت معركة الافغانى في القسطنطينية جواز مروره الى تسامح اسماعيل معه . وربما ظن اسماعيل ان الافغانى من ضعف الشأن بحيث لاينطق . وربما ظن - كما فعل على باشا وفؤاد باشا اللذان احتضنا الافغانى في تركيا - أنه سيحول التعاليم الجديدة الى اداة في حربه الطويلة مع قناصل اوربا . واذا صح ذلك - كما يقول بلنت أيضا - فقد سمح لجمال الدين خلال السنوات الاخيرة من عهد اسماعيل بمواصلة محاضراته . ولم يقبض عليه الا حين تولى الحكم توفيق ورسخت المراقبة المالية الثنائية الانجلوفرنسية . وتم ذلك بناء على امر ادارى ، وارسل بلا محاكمة الى الاسكندرية ونفى على الفور . ومع ان بلنت قد جانبه الصواب في قوله ان الافغانى ارسل الى الاسكندرية ، والصحيح انه ارسل الى السويس ، فقد اضاف - الى ماسبق - ان الافغانى خلف وراءه في مصر ماسماه « حزب الاصلاح الحر » الذى قاده محمد عبده ، وانه قضى بعد ذلك سنتين متجولا في الهند حتى ذهب الى امريكا ، ولكن الافغانى لم يتجول في الهند كما ذكر بلنت . فقد كانت تنقلاته تتم بناء على رغبة السلطات الانجليزية هناك ، فضلا عن ان ذهابه الى امريكا امر لم يحدث ، والادلة كثيرة لانه مر بمصر في طريق عودته من الهند ، وارسل من السويس تابعه ببعض الخطابات الى اصدقائه ومعارفه مثل رياض باشا وشريف باشا وعبد الله فكرى باشا . وقد حمل خطابه الى الاخير تاريخ ٨ صفر ١٢٠٠ الموافق ٢٠ ديسمبر ١٨٨٢ . وذكر في مسودة خطابه لرياض انه ذاهب الى اوربا . ثم ظهر في باريس في اوائل يناير . لانه كتب مقالا بجريدة « أبو نضارة » في ٨ يناير ١٨٨٢ . ومعنى ذلك انه كان من الصعب ان يسافر الى امريكا ويعود في ذلك المدى الزمنى القصير اذا اخذنا

فى الاعتبار مشقة السفر وطول الرحلة فى ذلك الزمن ولكن ، متى عرف بلنت الافغانى ؟

لقد كان بلنت يتردد على مصر بصفة سنوية تقريبا منذ ١٨٧٥ ومع ذلك لم يلتق بالافغانى فى سنواته الاخيرة بالقاهرة . بل لم يلقه الا فى لندن بعد إطلاق سراحه فى الهند ورحيله الى فرنسا مارا بلندن . وكان بلنت قد قرر فى مطلع ١٨٨٢ ان يسافر الى سيلان لزيارة احمد عرابى وزملائه المنفيين معه ، وأن يتجه بعدها الى الهند بهدف تجديد معرفته بوضع المسلمين هناك ، وكتب عن خطته فى كتابه غير المشهور « جوردون فى الخرطوم » فقال : « شجعنى على تنفيذ هذه الخطة ذلك الزعيم الرائد لحركة الاصلاح المحمدية السيد جمال الدين الافغانى الذى تجد سيرة له فى غير هذا المكان . وقد عرفت خلال هذا الربيع فى لندن . ومنذ ان طرد من مصر سنة ١٨٧٩ على يدى الرقابة المالية الانجلوفرنسية ساح فى بلاد كثيرة شرقا وغربا . فقد ذهب الى الهند أولا حيث تعرض لاضطهاد الشرطة السياسية . ثم الى الولايات المتحدة حيث حاول الحصول على الجنسية الامريكية ، ثم مر بلندن وذهب الى باريس فى النهاية حيث جمع حوله فريقا من الوطنيين المبعدين من مصر بعد (معركة) التل الكبير . وقد حدثته عما عرّضت عليه من زيارة الهند فقال انها ستكون زيارة مفيدة »

لم يذكر بلنت كيف تعرف الى الافغانى ولا من قدمه اليه . ولكنه أقام معه علاقة صداقة استمرت الى قبيل وفاته سنة ١٨٩٧ ، وكان كثير الرجوع اليه فى المسائل السياسية التى تفجرت فى عصره . غير ان رحلته الى الهند كانت بداية تلك الصداقة التى ربطت بينه وبين الافغانى . وقد سجل ذلك فى كتاب آخر غير مشهور عندنا هو « الهند فى عهد ريبون » وكان ريبون هذا حاكما انجليزيا للهند برتبة لورد فى ذلك الوقت ، كان ايضا من اصدقاء بلنت وصاحب دعوته الى زيارة « جوهرة التاج البريطانى » . وفى هذا الكتاب

سجل بلنت تحركاته ومشاهداته بأسلوب اليوميات الذى اتبعه فى كتبه الأخرى . واحتفظ للأفغانى بالكثير من المداخل والاشارات التى نقلها هنا بحسب تسلسلها الزمنى بادنين بسفر بلنت من لندن الى باريس بصحبة سكرتيره لويس صابونجى الصحفى السورى المغترب فى ذلك الوقتها .

١٣ سبتمبر ١٨٨٣

وصلنا بقطار الليل الى باريس . ونزلنا بفندق سان رومان . وهو مكان هادئ للقاء أصدقائنا . وقد جاء صابونجى الآن مع جمال الدين . وحين رايت الشيخ فى لندن خلال الربيع كان يرتدى لباس الشيوخ . اما الآن فهو يرتدى ملابس فصلت على الطريقة الاستانبولية وبدت - مع هذا - لائقة عليه . وقد تعلم قليلا من الكلمات الفرنسية ، ولكنه لم يتغير . ودار حديثنا عن الهند وامكان حصولي على الثقة الحقيقية للمسلمين هناك . فقال ان كونى انجليزيا من شأنه ان يصعب الامور جدا . لان كل صاحب منصب يخشى عليه هناك يعيش فى حالة فزع من الحكومة التى بثت جواسيسها فى كل مكان . وقد كان هو نفسه اقرب الى السجين فى بيته هناك ، وترك الهند والخوف يملا جوانحه ...

قال ان حيدر اباد يمكن ان تكون افضل مكان لى . لان بها لاجئين من جميع ارجاء الهند وهؤلاء لا يخافون كثيرا من الحكومة البريطانية . وذكر انه سيكتب لى بعض الخطابات الخاصة لشرح وضعى ويوجهها لبعض محررى الصحف الاسلامية هناك . فحدثته عن الوضع السياسى وكيف يبدو لى من الضرورى ان ينضم المسلمون الى الهندوس فى دعمهم لسياسة ريبون .

وسألته عن اللغة التى يجب ان استخدمها . فحدثني عن السلطان (عبد الحميد) فنصحتنى بالا اذكر تشيد عند السلطان فى الهند ولا عن الخلافة العربية . لان هناك فكرة سائدة بان الانجليز يزعمون إنشاء خلافة عربية ضعيفة فى شبه الجزيرة

يتولاهما طفل ويستطيعون استخدامها فى السيطرة على الاراضى المقدسة . ولهذا يحظى اسم السلطان الآن فى الهند باحترام لامثيل له من قبل .

١٤ سبتمبر ١٨٨٣

جاء جمال الدين وصنوع وصابونجى على الافطار ، وظللنا نتحدث طول النهار . وقد جاء الشيخ معه بخطابين كتبهما للنواب عبد اللطيف فى كلكتا والنواب رسول يارخان فى حيدر اباد^(١) . وارجو ان يكونا ذا نفع كبير . وقد روى لنا بعض الحوادث الطريفة عن قومه واسرته تكذب فكرة ان الافغان شعب سامى وتؤكد انهم - على العكس - آريون مثل سكان شمال الهند ، ولكن اسرته نفسها عربية ، حافظت دائما على سنة اللغة العربية . ثم تحدث عن التاريخ ، وقرأت عليهم قصيدتى « الريح والدوامه » التى ترجمها صابونجى للشيخ ترجمة إجمالية . فقال انه لو سمع ان فى العالم رجلا انجليزيا يتعاطف حقيقة مع محن الهند لما صدق . وحثنى صنوع على ترجمة القصيدة الى العربية شعرا بطريقة جيدة على يدى الرقام^(٢) تلميذ محمد عبده . وقد استعرضت معه برنامجا رتبته لاعادة الحزب الوطنى فى مصر . ثم تحدثت مع الشيخ حول مشروع اعادة الازهر فى صورة جامعة حقيقية لجميع المسلمين فشرح لى ان الازهر كان على هذه الصورة فى الماضى . عند هذا الحد انتهى ذكر الافغانى فى يوميات بلنت قبل سفره الى الهند . ومضى بلنت نفسه فى تسجيل يوميات الرحلة بعد ذلك . وكان من الطبيعى ان يرد ذكر الافغانى مرة اخرى فى الجزء الخاص بالهند . ولاسيما ان بلنت سلم رسائله الى اصدقائه

١٠. مواب كلمة اورديّة مأخوذة عن العربية بمعنى نائب

١١. لم ترد عن هذا الاسم أية اشارة من مصادر العهر وربما يكون بلنت قد سمعه او شبه خطأ .

وتلاميذه هناك . كما قابل عددا آخر ممن لم يذكرهم له . ففي ٢٩ نوفمبر ١٨٨٢ قابل في حيدر آباد شابا في الثانية والعشرين يدعى « لائق على » خلف ابيه في حكم ولاية حيدر آباد ، وذكر له ان الافغانى كان صديقا لأبيه ، ثم دعاه الى الافطار معه يوم السبت أول ديسمبر . ولما ذهب اليه بلنت قابل هناك سكرتيره السيد حسين بلجرامى واخاه السيد على بلجرامى ، وكلاهما من ابناء الشيعة فى مدينة دلهى . وكان الأخير مهندسا تعلم تعليما انجليزيا جزئيا وأصبح فيما بعد عضوا بالمجلس الهندى فى لندن ، وقد ذكر لبلنت أنه لو أعيد عرابى الى مصر ومعه آحرار الأزهر وتكون هناك اساس دينى للأصلاح لكان أثر ذلك عظيما فى الهند وأضاف : « نحن ننظر الى مصر ومكة أكثر مما ننظر الى القسطنطينية ولكننا جميعا فى الهند متخلفون ولذلك لاغنى عن الاساس الدينى » وكان على بلجرامى يكره - كشيعى - السلطان عبد الحميد كما يقول بلنت ، ويرى الافغانى - الذى عرفه أثناء نفيه فى الهند - « أقرب الى الاشتراكى والمهيج المحرض الذى لا يستطيع تحقيق الاصلاح المنشود »

وفى مساء ذلك اليوم من ديسمبر زار بلنت نواب رسول يارخان الذى لم يحضر مأدبة الافطار . وقال عنه انه « عالم شاب فاضل من النوع الأزهرى الذى أعرفه جيدا فى مصر ، متحرر ، اشتراكى وتلميذ متحمس لجمال الدين ، لايعرف الانجليزية ، ولكنه ملم بالفارسية والعربية الى حد ما . وقد تحدثنا بالاخيرة . وقال إن غالبية المسلمين هنا من السنة ولكن لا يوجد خلاف كبير بينهم وبين الشيعة ولا شعور سىء . وجمهور الناس هنا جاهل تماما بما يجرى خارج حيدر آباد ولكنهم سمعوا عن الحرب المصرية (بين عرابى والانجليز) وتعاطفوا مع عرابى .. ثم أضاف بلنت الى ذلك « ولست تجد فى الهند كلها معلما مثل جمال الدين . فقد أخرج (الشاب) صورة للشيخ الافغانى من جيبه بإجلال واحترام ، ونسخة من صحيفة « ابو نضاره » كانت صورتي منشورة بها ثم

قرا علينا ابيات الشعر المكتوبة تحتها ..
من يومياته خلال الزيارة بعد ذلك نستطيع استخلاص النصف
التالية التي جاء فيها ذكر الأفغانى :

١ - فى ٥ ديسمبر (١٨٨٣) قابل « شيخ علماء الشيعة سيد على
وهو من أبناء شوستر وقد تحدثنا معه بالعربية . وهو ايضا صديق
لجمال الدين كما يقول ولكنه اشتهر بأنه « متعصب كبير » وهو
عراقى قح ، واعترف بأنى لم اعجب به !!

٢ - فى ٩ ديسمبر تأكد من صحة « الحكايات التى رواها الأفغانى
عن نفى (السلطة الانجليزية) لرجال الدين (المسلمين) الى
جزر أندمان »

٣ - عندما غادر حيدر اباد سار مع رسول خان نحو ساعتين على
الطريق ، وجاءه بهدايا وقال له إنه سار مع الأفغانى على هذا النحو
من قبل عند مغادرته المدينة .

٤ - فى ٢٢ ديسمبر قابل فى مدينة كلكتا مولوى عبد اللطيف شيخ
المسلمين السننيين وكان يحمل له رسالة من الأفغانى . وقال له أنه
سمع بأعماله من جمال الدين ^(١) . ولكنه يخشى الا يتحدث معه
الناس حتى لا يثيروا غضب الحكومة عليهم . ويبدو أنه لم يعرف
جمال الدين معرفة شخصية ..

٥ - فى ٢٤ ديسمبر قابل شخصا اخر فى كلكتا يدعى مولوى ا . م
فذكره بجمال الدين فى استنارته وتحرره . وكان الرجل عالما
« تحول الى الفكرة الكبيرة فى الاصلاح الاسلامى والوحدة
الاسلامية التى دعا اليها جمال الدين ، ويوجد من هذا النوع الآن
كثيرون يتوسطون الفريقين المتصارعين هناك (المتعاونون مع
الانجليز والتقليديون) وقد ذكر الرجل أن جمال الدين خاب أمله فى
مسلمى كلكتا الذين كانوا يخشون الاستماع اليه بسبب
الحكومة ! ثم دعا بلنت الى العشاء ومقابلة تلاميذ الأفغانى .

(١) هذه مجاملة فى الغالب لان بلنت لم يعرف الأفغانى قبل نفيه الى الهند . وقد اكدها
هو نفسه بعبارة الاخيرة عن الرجل .

٦ - فى ٢٦ ديسمبر لى الدعوة وقابل جمعا كبيرا من تلاميذ الافغانى فى كلكتا ، « تحدثوا عنه بشيء كالعبادة !!

٧ - فى أول يناير ١٨٨٤ كتب : « زارنى خمسة من اصدقاء جمال الدين ليعبروا عن إعجابهم بكتابى « مستقبل الاسلام » . وهم جميعا من شباب الطلاب ، متحمسون ، يكرهون انجلترا بكل قلوبهم ، ومن قراء « ابو نضارة » .. ولكنهم جميعا متحررو التفكير من ناحية الدين ، وافكارهم هى نفسها افكار جمال الدين »

ويجب أن نلاحظ فى هذه النتف وغيرها أن بعض المصطلحات هنا لم تكن تعنى ماتعنيه اليوم على وجه الدقة . فمصطلح « التحرر » فى التفكير او الراى كان يقصد به مانسميه « الاستنارة » أو - بمعنى آخر - البعد عن الجمود والتزمت . ومصطلح « اشتراكى » كان يعنى وقتها شيئا قريبا من جراءة التفكير والثورية فى اذهان العامة واصحاب السلطة .

نلاحظ أيضا أن الافغانى فى هذه الصور السريعة التى رسمها له بلنت وتلاميذه فى الهند ، يبدو ذا شخصية مغناطيسية تجذب اليها الكثيرين حتى فى وقت محنة الشخصية . كما يبدو مختلفا عليه كما هى العادة مع مثل هذه الشخصيات . فهو إما رجل ذو سطوة وأثر فى المحيطين به ، وتندرج هذه السطوة من مجرد الاعجاب به الى الحديث عنه بشيء أقرب الى العبادة ، وإما رجل خطير ، وتندرج هذه الخطورة من خشية الناس من الاستماع اليه وتجنبه حرصا على سلامتهم الى وصفه بأنه مهيج ومعرض وثورى ، أى اشتراكى بالمعنى الذى كان يفهمه العامة واصحاب السلطة وقتها .

كما نلاحظ أن الافغانى يميل الى تأكيد أصله العربى ، وهذا أمر خاص به لانملك تكذيبه الا اذا جئنا ببراهين على عكسه . ولكنه هو نفسه يتيح لنا البراهين على تصديقه حين يميل الى نسبة نفسه الى آل الحسين ويتخذ فى توقيعه اسم « الحسين » ونلاحظ من جهة أخرى أن المتعاطفين معه فى الهند وقتها ، اصدقاء او

تلاميذ . كانوا اكثر عددا من الساخطين عليه .
كان من الطبيعى ان يتوقف بلنت فى باريس فى طريق عودته من
الهند الى وطنه . وان يزور صديقه الافغانى وكان ذلك فى مارس
١٨٨٤ . وهناك وجد صديقه القديم محمد عبده لم يرد منذ بداية
الصراع مع الانجليز قبل احتلالهم لمصر . ودار الحديث بين
الأصدقاء الثلاثة حول رحلة الهند وأخبار المهدي فى السودان .
وكانت هذه الاخبار تحتل نصيب الأسد وقتها فى عناوين الصحف
الأوربية . فقد نجح محمد أحمد المهدي (١٨٤٤ - ١٨٨٥) فى
مطلع ذلك العام (١٨٨٤) فى تهديد مدينة الخرطوم بعد قضائه
على حملتين عسكريتين أرسلتهما الحكومة المصرية للقضاء عليه .
وتنبأ المراقبون للحركة فى أوربا بقرب سقوط العاصمة السودانية
مالم تتخذ اجراءات رادعة . وشعر الانجليز بصفة خاصة بأن
وجودهم فى مصر أصبح مهددا . وبدأوا فى اعداد حملة عسكرية
أخرى عهدوا بها الى الجنرال تشارلز جوردون (١٨٢٣ - ١٨٨٥)
لمعالجة الموقف . وكان الوطنيون المصريون ، فى داخل البلاد
وفى المنافى . يتطلعون الى انتصار المهدي حتى يخرجوا موقف
الانجليز من ناحية . ويثبتوا دعائم الحكم الاسلامى من ناحية
أخرى . فقد كانت رسالة المهدي الى قومه تتلخص فى تطبيق
الاسلام وتطهيره من الكفار ارباب الحكم المصرى التركى
الفاسد .

يطلب الأمان من الانجليز لمفاوضتهم على الصلح مع المهدي

ادخل بلنت السرور على الافغانى فى باريس حين حدثه عن اخبار رحلته الناجحة الى الهند . وكان بلنت قد تأكد بنفسه من سطوة الافغانى ونفوذه داخل دوائر المثقفين المسلمين فى الهند . ولكن اخبارا كثيرة جديدة زحفت على اخبار الرحلة وغطتها . فقد شرع الافغانى فى إصدار صحيفته « العروة الوثقى » واستدعى لئله لميذه محمد عبده من بيروت ، ونجح الاثنان فى تقديم العدد الاول من الصحيفة فى ١٣ مارس ١٨٨٤ ، قبل نحو اسبوعين من وصول بلنت واصبح الافغانى مشغولا الى أبعد درجة ، لبالصحيفة فحسب ، وانما باخبار المسلمين والحركات الاسلامية ، وكانت اخبار حركة المهدي على رأس ماشغله من أمور .

وقد شغلت اخبار المهدي بلنت ايضا منذ عودته من رحلته ومروره على الافغانى فهو لم يكن متعاطفا مع فكرة الخلافة العربية فحسب ، ولا مع الصحوة الاسلامية ضد تغلغل الانجليز فى اراضى المسلمين فحسب ، وانما كان تعاطفه مع الاخبار لسبب شخصى ايضا ، فالجنرال جوردون - الذى قبل التصدى للمهدي - صديقه ، وعلى صلة به عن طريق المراسلة . وهو أيضا صديق متدين الى حد الهوس ، ولكنه مغلوب على امره فى رأى بلنت ، لانه لم يختار المهمة التى كلف بها . ولأن اللورد كرومر ، المعتمد البريطانى فى مصر ، اصر على تكليفه كانما ليتخلص منه ، ولاسيما بعد ان

رفض شريف باشا رئيس الوزراء ، فى ذلك العام ، تعيينه على أساس أنه مسيحى .

حين سأل بلنت الأفغانى عن رأيه فى موقف جورديون أجابه بأنّه موقف حرج وفاشل . وحين سجل بلنت زيارته لمقر جريدة « العروة الوثقى » فى ٢٧ مارس ١٨٨٤ قال :

«وجدنا جمال الدين فى غرفة صغيرة مساحتها ثمانية أقدام مربعة تقع فى الطابق الأعلى من بيت بشارع دى سيز ، حيث كان يحرر مع عبده صحيفة تدعى « العروة الوثقى » وفى ذات الوقت تقريبا دخل رهط شديد التنافر من الغرباء ملأ أفراده الغرفة . فها هى سيدة روسية ، وذاك رجل بر أمريكى ، وهذان شابان من البنجال قدما نفسيهما بأنهما متصوفان جاءا - كما قالوا - لاستشارة الشيخ الكبير . وقد تحدثا - بلغة غريبة عن الانسانية ولكنهما بديا طيبى القلب متحمسين تماما لقضيتهما لدرجة انهما لم يابها لوجودنا . وكان الهدف الاساسى من زيارتهما الاستعلام عن المهدي الذى يعتقدان أنه رجل إنسانى النزعة ولكن عقليهما لم يستوعبا تجارة الرقيق ، فأخرجنا الشيخ بسؤاله عن آراء المهدي حول هذا الموضوع . ووجد الشيخ صعوبة كبيرة فى إقناعهما ، ولكنه شرح لهما مدى ماغنمه الرقيق بين المسلمين مقابل الحصول على حريتهم . وقد اقتنعا بذلك وخرجنا راضيين ، ولكن الشيخ المسكين جاهد كثيرا حتى يكتم الضحك . وعندما انصرف الشابان تحدثنا حديثا طيبا عن الهند وكل ما فعلناه هناك مما أدخل السرور كثيرا عليه »

عاد بلنت بعد هذه الزيارة القصيرة الى لندن وقد نال من الأفغانى وعدا مهما ، هو أن يعاونه فى تحقيق الصلح مع المهدي وانسحاب جورديون ، شرط أن تبدى وزارة الخارجية البريطانية حسن نيتها . وما ان وصل بلنت الى لندن حتى بدأ فى الاتصال بمكتب جلادستون الذى ظل رئيسا للوزراء . ولم يجد عند جلادستون مانعا من الصلح . فشرع على الفور فى الكتابة الى

الافغانى فى باريس .

ولم يكن الموقف فى السودان وقتها ابن لحظته . فقد كان من الواضح أن المهدي عزم على تحرير السودان من الادارة المصرية - الشركسية الفاسدة . ولم يكن تزامن حركته مع الحركة العربية مجرد مصادفة . فقد كانت الحكومة المصرية تعاني من الضعف وبهمها فى الاساس أن تسوى المسألة العربية . وكان العربيون أنفسهم عازفين عن التدخل فى السودان حتى لا يضعفوا قوتهم . ولكن سقوط العربيين واحتلال الانجليز للبلاد شجع الحكومة المصرية مرة أخرى على التدخل . ومع ذلك فشلت الحملة التي ارسلتها لمحاربة المهدي . وقتل قائدها الجنرال الانجليزى هيكنس (باشا) فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣ . وعند ذاك اشار الانجليز على الحكومة المصرية باخلاء السودان . ووافق الخديو توفيق ، ولكن رئيس الوزراء شريف (باشا) رفض الفكرة ، وفضل ان يترك الحكم على ترك السودان . وقدم استقالته فى ٨ ابريل ١٨٨٤ محتجا على تدخل الانجليز فى شئون الحكم ومسئولية الوزارة امام الخديو . وذكر فى كتاب استقالته أن التخلي عن السودان مضر بمصلحة مصر سياسيا وتجاريا ولما عرض الخديو الوزارة على رياض (باشا) بشرط إخلاء السودان رفضها بدوره ولم يجد الخديو مامه سوى نوبار (باشا) رجل الازمات التي من هذا النوع شكل الأرمنى العجوز وزارته فى ١٠ يناير ١٨٩٤ . واستقضى - بإيعاز من اللورد كرومر - على إرسال جورديون (باشا) السودان . فعين حكمدارا (حاكما) عاما على السود . ٢٤ يناير : صدرت له التعليمات بالعمل على تسوية الموضوع اخلاء السود . ومع ان جورديون غادر القاهرة بقطار خاص فى ٢٠ يناير فلم يصل إلى الخرطوم الا فى ١٨ فبراير . هناك أباح تجارة رقيق مرة أخرى ، وحاول استمالة الاهالى تخفيض الضرائب الى النصف واحراق السجلات القديمة ديون ، وأرسل الى المهدي رسولا يحمل منه قرارا بتعيين سلطانا

على كردفان وبعض الهدايا ، فرد المهدي الرسول مصحوبا بوفد منه يحمل رسالة الى جوردون .

فى هذه الرسالة المهمة التى نشرها احمد شفيق (باشا) فى كتابه « مذكراتى فى نصف قرن قال المهدي : الى جوردون اخذت خطابك الذى تسميني فيه سلطانا على كردفان فقولانى الذهول من ذلك وداخلنى مزيد الاستغراب المتولد عن زعمك انك تعطينى بلادا هى لى وأنا لها . واعلم وفقك الله ان رسالتى المهدوية لا تستوقفنى فى كردفان فقط . بل تقضى على بأن اذهب الى الخرطوم وأحتلها ، ومنها اسير الى الاصقاع البعيدة والانحاء الشاسعة وأما الهدية المزركشة التى بعثتها الى فهى اليك راجعة ، بل هى بك أولى وأليق ، فإن دعوتى تأبى إتشاح مثل هذه الملبوسات . هذا هو شرح حالتى . وأما انت فإذا رغبت الحياة فاتبعنى لتتجو بنفسك . واليك دلعا (لبس الدراويش) فالبسّه واسلك مسلك الدراويش فتتال رضاي »

ولم يسلك جوردون مسلك الدراويش وظل يعانى من حصار قوات المهدي والصحف الانجليزية فى لندن تحاول دون توقف ان تجد له مخرجا .

نعود الى مراسلات بلنت والافغانى حول الموضوع . وقد نشر بلنت نصوص سبعة خطابات ضمن ملاحق كتابه « جوردون فى الخرطوم » ومنها اربعة للافغانى وثلاثة لبلنت وقد كتبت الخطابات جميعها - باستثناء آخرها - باللغة الفرنسية كطلب الافغانى وتبدلت فى الفترة من ٢١ ابريل ١٨٨٤ الى ١٢ مايو ١٨٨٥ ، أى فى مدة تقرب من سنة كاملة ومن خطابات الافغانى الاربعة نعرف انه لايعادى جوردون ، ويعدّه « نصيرا للحرية ومدافعا عن الاسلام » ولكنه يرى للمهدي حقوقا يجب أن تراعى . كما نعرف أن بعض كبار أنصار المهدي كانوا تلاميذا للافغانى على حد قوله . ولكنه يعتقد أن المهدي وأنصاره لا يريدون سوى الاستيلاء على الخرطوم وأسر جوردون ، وأن الحل فى رأيه يتلخص فى جلاء

الانجليز عن مصر والسودان مقابل خروج جورديون ومن معه من المسيحيين سالمين . فاذا قبلت الحكومة الانجليزية هذا الشرط أمكن ارسال لجنة صلح يكون معظمها من المسلمين ويشترك فيها الانجليز ومنهم بلنت نفسه ويكون الهدف منها ضمان أرض مصر واعادة فتح ابواب التجارة بينها وبين السودان . ولم يختلف بلنت فى خطاباته الثلاثة على ما طرحه صديقه من أفكار وحلول . وكان هو نفسه قد كتب رسالة الى رئيس الوزراء جلاستون يعرض فيها التوسط لانقاذ جورديون وذكر ان الافغانى قد أرسل له (صباح ذلك اليوم ٢٢ ابريل) رسالة يؤكد فيها أنه سيبدل كل مافى وسعه لانقاذ حياة جورديون حرصا منه على صداقته ببلنت .

سجل بلنت فى مفكرته فى ذلك اليوم :

« إن فكرتى عن الحل هى إما ان أذهب بنفسى ، وإما ان أكلف شخصا آخر بالذهاب ، مثل جمال الدين أو عبده أو الشاب عبد العال ، الى دنقله أولا ثم الى الابيض ... بحيث يتم جلاء جورديون عن التحصينات وكذلك جلاء الاوربيين والأتراك والاقباط وغيرهم ممن قد يفضلون العودة الى مصر . ثم تعقد بعد ذلك معاهدة صلح مع المهدي أو يتعهد من جانبه بتثبيت حدوده عند بربر ودنقله وحدود الحكومة المصرية عند اسوان »

وقد طلب بلنت الا يتعرض الأوربيون للبحر الاحمر ، بحيث لاتجرى أى عملية عسكرية اثناء قيامه هو بمهمة التوسط ، والا ينتقم من موته فى حاله اعتداء قوات المهدي عليه ، أو ترسل بعثة لاطلاق سراحه فى حالة اعتقاله ، فضلا عن ضرورة تسجيل هذا الاتفاق والمطالبة باطلاق سراح عرابي وعودته فى حالة نجاح بلنت فى مهمته . ومع ذلك ابدى بلنت خوفا من رفض الحكومة الانجليزية فكرة ذهابه الى جورديون ، ولاسيما أن احد أصدقائه أشار الى تأخر هذا الحل عن مواعده وهو نفسه سكرتير جلاستون الذى ذكر له ان الحكومة قررت امس (٢٢ ابريل) ارسال بعثة

انقاذ الى بربر . وماهى الا ايام حتى جاء رد جلادستون فى أول مايو بأن الحكومة لن تستفيد من فكرة بلنت فى الوساطة ، لانها قررت الجلاء عن السودان ومنحه حريته ولكن بلنت عزا هذا الرد وتأخره الى وصول كرومر من مصر وتأثيره على الموقف كله ويبدو أن بلنت لم يفاجأ بموقف الحكومة ولابرد وزير الخارجية اللورد جرانفيل الذى جاءه فى ١٩ مايو برفض فكرة التدخل والوساطة . وقرر تأجيل رحلته الى باريس التى كان قد رتبها - فى حالة موافقة الحكومة - للاتفاق مع الافغانى ومن معه .

شهدت الصحف الانجليزية وكواليس رأى العام والحكومة الكثير من الاخبار والشائعات حول استفحال خطر المهدي وقرار الحكومة بالجلاء سرا عن السودان وصعيد مصر ، مع بقاء الاسكندرية فى ايدي الانجليز وتسليم القاهرة الى السلطان العثمانى ، مقابل أن يأمر السلطان بفتح بوغازى الدردنيل والبوسفور امام الاسطول البريطانى . وكانت مهمة الاسطول ان يهاجم ثغر باطوم على بحر قزوين ثم يتقدم الى مدينة باكولقطع اى اتصالات بين الروس وافغانستان بسبب تصاعد الموقف هناك وتورط الانجليز . وظلت مسألة حصار الخرطوم وخطورة موقف جوردون تتردد أيضا فى الصحف والاجتماعات العامة دون حل . وأعدت الحكومة الانجليزية سراً حملة عسكرية جديدة عهدت الى فاتح مصر وهازم العربيين الجنرال ولسلى . ووصل ولسلى الى القاهرة فى ٢٢ سبتمبر ١٨٨٤ بهدف انقاذ جوردون وإقصاء الحكم المصرى عن السودان وترحيل جنود مصر والمدنيين ، وترك السودان للمهدي . ومع هذا كله لم يتخل بلنت عن فكرته السابقة فى الوصول الى حل سلمى بين قومه والمهدي .

وفى شهر اكتوبر سافر بلنت الى تركيا . وهناك قابل كثيرين من المصريين المنفيين فى عاصمة الخلافة بعد سقوط عرابى ، وكان من هؤلاء اسماعيل جودت الذى كان مسئول شرطة الأجانب أثناء القتال بين العربيين والانجليز ثم خرج منقيا وانضم الى حاشية

الأمير حليم بن محمد على والمطالب بعرش مصر . وقد طلب بلنت من الأمير أن يبعث معه الى لندن اسماعيل جودت ومصطفى نجدى طبيب عرابى السابق ، للدلاء بشهادتهما حول تطورات الموقف قبل الاحتلال .

عاد بلنت الى لندن فى شهر نوفمبر ومعه جودت ونجدى وفى لندن قابل جودت صديقه ابراهيم المويلحى الذى ابعد وقتها من باريس وظل على علاقة بالافغانى ومحمد عبده منذ ان عرفهما وصادقهما فى القاهرة قبل المنفى . وكان يشاركهما فى تحرير « العروة الوثقى » التى توقفت عن الصدور فى ١٦ اكتوبر . ويبدو انه جاء لندن بايعاز من الافغانى للاتصال ببلنت . ويبدو أيضا ان الافغانى بدأ يعد نفسه بعد توقف الجريدة للتفرغ من أجل الصراع الاسلامى الانجليزى فى مصر والهند وافغانستان والسودان ، فقد كتب بلنت فى مذكرته بتاريخ اول يناير ١٨٨٥ أنه رتب مقابلة مع الافغانى من خلال تلميذه (المويلحى وجودت) اللذين شرحا له « طبيعة الخطة التى يرتبها جمال الدين (لمواجهة . الانجليز) بالاشتراك مع فرنسا وروسيا والهند بحيث اذا لم يساعده السلطان (العثمانى) فى ذلك فمصيره الخلع . ولكن السلطان سيتعاون معهم . (الافغانى ومجموعته) وهم يريدون فرص . شروط الصلح على انجلترا والا فانهم سيقومون بإشعال الثورة فى « الهند » وفى ذلك الوقت (أو يناير ١٨٨٥) كان ولسلى يعسكر بحاميته عند كورتى ، ويقاىل جنود المهدي . ويحاول التقدم الى الخرطوم . وكان معنى ذلك ان يشتد المهدي ورجاله فى الضغط على جوردين حتى سقط قتيلًا وسقطت الخرطوم معه فى ٢٦ يناير . وتوقف ولسلى حيث كان . ولم يجد امامه سوى إبلاغ الحكومة المصرية وحكومته بما حدث . ولم تجد الحكومتان - أو الحكومة الانجليزية على الأصح - سوى اعادته الى القاهرة فى النهاية فى أوائل مارس ١٨٨٥ . تاركه السودان لاهله ورجاله .

لم يكف بلنت بهذه النهاية المأسوية التى تعرض لها صاحبه

جوردون ولكنه مقتنعا بأن المشكلة الحقيقية تتمثل فى المهدي وانصاره ، وانه من الضرورى لبريطانيا أن تتوصل الى صلح مع المهدي والا تعرضت مصالحها فى المنطقة كلها الى الخطر المؤكد ويبدو ان السياسة الانجليزية - كعادتها فى تلك الفترة - كانت تقوم على ترك الابواب والاحتمالات مفتوحة فاذا كان للرسميين موقف معين فمن الممكن لغير الرسميين - مثل بلنت - أن يعرضوا موقفهم وان يحاولوا بطريقتهم الخاصة ماداموا يعملون داخل دائرة الحرص على مصلحة بلادهم . ومع ان بلنت اشتغل من قبل بالدبلوماسية وعرف خباياها فلم يتعظ مما رآه أو عرفه ، واقبل بحسن نيته وطموحه الرومانتيكى على الاستمرار فى الاجتهاد والتشاور مع الافغانى وتلاميذه وفى أواخر شهر فبراير ١٨٨٥ - قبل ان ينسحب ولسلى من حدود السودان - قام بلنت بزيارة الى باريس ، حيث عاد الى مفكرته ليسجل احداث الزيارة وتطوراتها أولا بأول :

٢٥ فبراير ١٨٨٥

نزلنا بفندق واجرام . جاءنا صنوع فى الليلة الماضية وتبادلنا الشجون . وفى هذا الصباح جلست الى جمال الدين مدة ساعتين . وأعتقد ان معالجة مسألة المهدي تبدو الآن أصعب مما ظننت ، أو أصعب مما كانت عليه فى العام الماضى ، لأن الاستيلاء على الخرطوم غير الموقف كثيرا . فهم مزهونون كثيرا بقتل خمسة جنرالات انجليز ، وهو امر لم يسمع به أحد من قبل فى أى حرب كما يقولون . وهؤلاء الخمسة هم : هيكس وبيكر وستيوارت وإيرل ، وأخيرا جوردون . ولهذا ستكون شروط المهدي باهظة . ومع ذلك يقول جمال الدين بوضوح أن الصلح ممكن إذا رغب الانجليز ، بحيث يتركون السودان أولا ، ويسلمون سواكن الى السلطان اثانيا ، ويستخدمون دبلوماسيتهم لاجراج الايطاليين من مصوع

(١) ثالثا ، ويرتبون مع السلطان من أجل إقامة حكومة إسلامية في مصر رابعا . ويرى أن إعادة عرابي (الى مصر) من شأنها أن تسهل الأمور كثيرا ، ولكن أي حكومة ذات شعبية في مصر تستطيع التصالح مع محمد احمد (المهدي) أما فيما يتعلق بطريقة التنفيذ فيقول جمال الدين أنه ضروري أن تخطو الحكومة الانجليزية الخطوة الاولى . فالمهدي لا يستطيع في الظروف الراهنة أن يبعث مبعوثا الى انجلترا ، ولا أن يعينه (جمال الدين) « وكيفا » لهذا الغرض . فالمبعوث يجب ان تبعثه انجلترا وكل ما يستطيع (جمال الدين) أن يفعله هو تمهيد الطريق لهذا المبعوث حتى يحقق غايته . وهو يوصي بأن يكون المبعوث شخصا جديرا بالثقة . وسألت عن إنجيل جوردون (٢) الذي قلقت عليه للغاية السيدة ألنات وطلبت مني السعي لاعادته ، ولكن جمال الدين لا يغد بتعليق آمال على استعادته قبل إقرار الصلح . ومع ذلك رجوته أن يسعى للحصول على الانجيل فإذا نجح يكون ذلك برهانا ساطعا لحكومتنا على قوة نفوذه .

« وقد نشرت التايمز أمس موضوعا عن جمال الدين اعتقد أنه صحيح ، ولكن جمال الدين غاضب على حذف كل ماقاله ضد اسماعيل باشا وتعيين الأمير حسن في السودان (٣) »

(١) في ٥ فبراير ١٨٨٥ انتهزت إيطاليا فشل ولسلي وانتصار المهدي فطوقت مدينة عسوع برضاء إنجلترا مقابل تأييد إيطاليا لسياسة الإنجليز في مصر . وكانت المدينة تضم حامية مصرية .
(٢) نسخة الإنجيل التي كان يحتفظ بها جوردون حتى مصرعه .

(٣) في ١٢ فبراير ١٨٨٥ عين الخديو توفيق ابنه الأمير حسن واليا من قبله على السودان . وتلك الانجليز في الموافقة على سفره بسبب اشتراطه اصطحاب قوة معه من ثلاثة آلاف رجل . فلما تخلى عن شرطه سمحوا له بالسفر في ٢ مارس . وقبل ان يصل الى دنقلة وردت برقية من لندن برجوعه اما المقال الذي ذكره بلنت عن الافغانى في التايمز - فلم نجد له اترا في عدد ذلك اليوم

دعوت جمال الدين وصنوع الى الأفطار وقرأت عليهما رسالتي الى السلطان فوافقا عليها بحرارة . واكد لى جمال الدين بخصوص أفغانستان أن حكاية النزاع بين روسيا والأمير (أمير أفغانستان) لاتعدو كلها أن تكون هراء ، وأن النزاع إذا نشب فسيكون ضدنا (ضد الانجليز) ، وأن الامير سيتيح لروسيا المرور لغزو الهند ، ولكن الطرفين ليسا مستعدين لهذا الآن .

وقد نشرت الصحف تلغرافا مفاده أن النظام (فى الهند) قد عرض قوات للذهاب الى السودان ، ولكنه (جمال الدين) ضحك عند سماعه هذا ايضا . وقال إنهم دائما يعرضون قوات لأنهم يعرفون أن عرضهم مآله الرفض . وحين انصرف صنوع ابلغنى (جمال) على انفراد أنه فكر فى مقترحاتى بشأن المفاوضات مع المهدي ، وأنه واثق من إمكان تحقيقها ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا حيالها مالم تظهر الحكومة الانجليزية حسن نيتها بتعيين أى شخص آخر يوثق فيه لتمثيلها وعندئذ يقوم هو بتقديم البعثة ، التى يجب ان تكون منصوبة برجل مسلم ، الى شخص ذى حيثة كبيرة فى مصر يتيح له مركزه أن يتحدث عن الشروط . أما هو نفسه (الافغانى) فليس له مثل هذا المركز ، ولا يستطيع سوى أن يدل الآخرين على الطريق ، ثم يقوم هؤلاء بتقديم المقدمات اللازمة والسبيل المأمونة للوكيل الانجليزى . ومع ذلك يجب ان يتم الترتيب بوضوح - مقدما - لعملية تعهد الانجليز بحماية الاشخاص الذين سيتم تحقيق المفاوضات عن طريق وكالتهم . فيجب الا يسمح بتعرضهم للمشاكل على يدى الخديو .

وكان من رأيه ألا يعقد الصلح فحسب ، وانما ان توقع معاهدة تجارية ، وربما اتفاقية حول تجارة الرقيق أيضا - بحيث تقضى الأخيرة بضمان عدم تعرض الأحباش لغارات الرقيق نظرا لعدم

مشروعية هذه الغارات . ومع ذلك لم يوافق (الأفغانى) . على الدخول فى اتصالات مع أى مسئول انجليزى حول الموضوع حتى اقتنع (بلنت) أولا بأن نواياهم جادة . وإن الحماية مضمونة لوكلاء المهدى . وأنا مقتنع بهذا الراى حول الموضوع ، وكذلك لأنى وجدت جمال الدين حذرا فى وعوده . فهو لا يعتقد أن من الحكمة السعى وراء إنجيل جورديون الآن .

٤ ابريل

تناولت العشاء فى فندق واجرام مع جمال الدين . وقرات عليه كل ماكتبته الى داوونج ستريت (مقر مجلس الوزراء) ووافقنى على الخط الذى اتخذته ، ولكنه يصر على أن الحكومة الانجليزية يجب ان تكتب رسالة الى المهدى لكى يحملها اليه ابراهيم (المويلحى) . ومع ذلك فهو سيفكر فى الموضوع ويتخذ قرارا بعد يوم أو يومين ، أنه ليس ثمة عجلة الآن ، مادام المهدى يستطيع أن ينتظر أكثر مما يستطيع مستر جلاستون .

٧ ابريل

تناول جمال الدين وصنوع الافطار معى .

١٣ ابريل

جاءنى جمال الدين مبكرا وقرات عليه رسالة مزعجة جديدة تلقيتها ليلة أمس من داوونج ستريت . ولكنه يصر على أن تكتب الحكومة رسالة الى المهدى إذا كانت تريد التفاهم معه . ويقول إنه سيأتى الى انجلترا اذا دعت الضرورة ليرتب الموضوع بشرط أن

أضمن له ألا يقبض عليه هناك . فقلت له إن لاخطر عليه من القبض ، ولكن تجربته في الهند جعلته متشككا في الحكومة الانجليزية . ويقول إنه لا يوجد سبب مهما كان لتأخير عودة عرابي الى مصر إذا أتاحت الفرصة الصلح مع توفيق . وتوفيق نفسه ضعيف جدا ولا يثق أحد في أنه سيشكل خطورة بعد الآن . أما عرابي فسوف يستعيد كل نفوذه الضائع بسرعة .
(عند هذا الحد عاد بلنت الى لندن وكتب في اليوم التالي :)

١٤ ابريل

ذهبت لزيارة بتون (إسم تدليل للورد كوني مارا زعيم المعارضة المحافظة في البرلمان) وهو يتنبأ بعدم نشوب حرب الآن مع روسيا . وقد ذكر لي جمال الدين هذا الرأي نفسه أمس وأنا أصدقه ، لأن روسيا الآن في وضع من يشاحن آخر أصم أذنيه ولا يقدر على الاعتذار .

وعند هذا الحد أيضا تنتهي المرحلة الأولى من علاقة بلنت بمشكلة جورودون والمهدى . فهو قد بدأ - كما رأينا - بالتحمس لتخليص جورودون من ورطته ، ثم انتهى - بعد مصرع جورودون - الى التحمس للصلح مع المهدى . ولم تكن بدايته أو نهايته تحمل طابعا رسميا . فقد كان في الحالتين رجلا مجتهدا حسن النية يحاول أن يجنب بلاده المشاكل أولا وأن يصنع نوعا من التقارب أو التفاهم بين قومه والمنطقة العربية والاسلامية .

من الواضح ان المبادرة في الحالتين كانت من جانب بلنت وأن ردود فعل الافغانى كانت مشجعة لهذه المبادرة . ومن الواضح أيضا أن الافغانى ظل من البداية الى النهاية متمسكا برأيه حتى سلم به بلنت . وكان رايه - كما رأينا - أن تحترم انجلترا إرادة المهدى ، وأن يجلو الانجليز عن مصر والسودان معا ، وأن يعود

عرايى من منقاه وان يكلل هذا كله بمعاهدة صلح مع المهدي تؤمن حدود مصر من جهة وتضمن استمرار التجارة بين البلدين ، وهى مسألة فى غاية الحيوية بالنسبة للبلدين . ومع ذلك فيبدو أن تجربة الأفغانى السابقة مع الانجليز علمته أن يلزم الحرص والحذر وان يحدد مايريد بالضبط ولكن أهم مافى الموضوع أنه وافق على الذهاب الى لندن مقر السياسة التى قاومها وحاربها واكتوى بنارها فى مصر والهند قبل أن يأتى الى أوربا . ومع ذلك فمن الواضح أنه أخذ الأمر بمأخذ السياسة أيضا . فالمفاوض يجلس الى مائدة المفاوضات أمام عدوه . وهذه هى السياسة .

راوغه الانجليز حول الجلاء عن مصر تأسيس حكومة اسلامية بها

ظل بلنت مشغولا بمسألة المهدي دون أن يفقد الأمل في تسوية وضع الانجليز في السودان ومصر معا . وظل أيضا على الاتصال بصديقه الأفغاني بعد انقضاء الجولة الأولى من مشاوراتهما بمصرع جورديون وسقوط الخرطوم ثم سقوط جلاستون ووزارته في النهاية . ونجح في إغراء صديقه بالمجيء الى لندن بعد أن ضمن له عدم المساس بحريته . ولكن موافقة السلطات البريطانية على مجيئه كانت تتساوى مع موافقته هو نفسه على المجيء . فلم يسيء للانجليز في عصره أحد مثلما أساء هو اليهم ، ولم يسيء له أحد في عصره مثلما أساء اليه الانجليز . ومع ذلك رضى الطرفان أن يتفاهما . وكان رضاه من منطلق السياسة بالطبع ، التي أصبح مشغولا بمشروعاتها وخططها أكثر من أى وقت مضى . وربما فكر الانجليز في الاستفادة منه في محنتهم مع المهدي دون أن يفيدوه ، وهذا ماتؤكد وقائع التفاهم كما سنرى . وربما فكر هو في تحويل الانجليز الى قوة حليفة للمسلمين ، وهذا ماتؤكد - مرة أخرى - وقائع تفاهمه مع اثنين من كبار مخططي السياسة البريطانية في الشرق : اللورد راندولف تشرشل والسير دراموند وولف . وكان تشرشل (١٨٤٩ - ١٨٩٥) من زعماء حزب المحافظين والبرلمان ووزيرا لشئون الهند في الوزارة الجديدة التي شكلها اللورد سالسبوري بعد سقوط جلاستون . وكان وولف مسئولا بوزارة

الخارجية ومبعوثا لها فى المهمات الخاصة ، ثم سفيرا فى النهاية .
وقبل أن تبدأ هذه الجولة الخطيرة من التفاهم والمشاورات كان
المهدى نفسه قد مات فجأة فى ٢٢ يونيو ١٨٨٥ ولم يكن خبر وفاته
قد تأكد بعد عند الانجليز ولا عند الأفغانى ولكن الذى تأكد أن
الأفغانى قرر المجيء الى لندن . وهنا نترك المجال لمفكرة بلنت وقد
انتقل من بيته الريفى الى بيته فى لندن :

٢٢ يوليو ١٨٨٥

عدت الى لندن . سيأتى الشيخ جمال الدين الى جيمس ستريت
(بيت بلنت فى لندن) نزلت على الفور الى مكتب الهند حيث
أسعدنى الحظ فوجدت راندولف عائدا لتوه من البرلمان ... ووعدنى
بأن يأتى لمقابلة جمال الدين فى بيتى فى العاشرة والنصف من
صباح الغد . وشرحت له بالضبط وضع الأفغانى مع تاريخ اعماله
فى مصر والهند . وقلت له : إنه فى القائمة السوداء عند الجميع
هنا ، وعدو لانجلترا ، ولكن لولم تكن هذه حاله لما كان فيه نفع
لنا .

٢٣ يوليو

وصل جمال الدين ليلا . وجاء راندولف الى جيمس ستريت فى
العاشرة والنصف تماما . لقد استرد عافيته وروحه المعتادة . وقبل
ان اقدم اليه الافغانى قرأت عليه الخطاب الخاص . بمعركتى
الانتخابية (١) ... ثم ارسلنا فى طلب جمال الدين . واستقبله
راندولف بأدب جم ، وأجلسه الى جواره على الاريكة ثم شرعا
يتحدثان بالفرنسية ، ولكن سرعان ما أدركت أن محصول راندولف

(١) كان بلنت قد رشح نفسه للبرلمان ولم ينجح .

منها قليل . فكان على أن أقوم بدور المترجم وبدأ راندولف بسؤال عن وفاة المهدي وعما إذا كان الخبر صحيحا . فقال جمال الدين إنه لا يظن ذلك صحيحا ، وحتى إذا صح فلن يحدث فرقا كبيرا ، لأن السودانيين سيختارون خليفة له . وسأله راندولف عما سيكون الخليفة فأجاب جمال الدين : لن يكون عثمان دقنه وإنما سيكون أحد رفاق المهدي أى رجل دين . أما عثمان دقنه فسيكون قائد الجيش لا الخليفة . وسينتهى كل شيء بسلام كما حدث عند وفاة النبي ﷺ حين تم اختيار أكثر الناس تدينا . وسأله راندولف بعدئذ عن أفغانستان ووضع أميرها . وكان رد جمال الدين باختصار هو : إن عبد الرحمن (الأمير) قائد ممتاز ولكنه ليس سياسيا عظيما ، بالرغم من أنه ليس أيضا رجلا أحق . فأغلبية الأفغان تقف في صفه ، ولكن من السهل أن تنشب الثورات ضده إن الأفغان قوم بسطاء جاهلون بالسياسة ، ولكنهم على استعداد للقتال دائما . وقد يدبر الروس ثورة من خلال اسحق خان أو نفر آخر من أبناء شير على والبيت الحاكم . وليس ثمة ما هو أسهل من ذلك . ولكن الروس لا يبنون قتال الأفغان هذه السنة وإنما قد يتحالفون مع بعض هؤلاء الأمراء ويشيرون القلاقل . وقد يقدمون أنفسهم في صورة حلفاء ضد الانجليز ، ويعدون باستقلال إقليمى كشمير وبيشاور إذا ثارت الهند . وسوف يصدقون الأفغان عندذاك .

راندولف : هل يكرهنا الأفغان أكثر مما يكرهون الروس ؟
جمال الدين : لم يلحق الروس أى ضرر بالأفغان . أما الانجليز فقد شنوا عليهم ثلاثة خروب .

راندولف : ولكن ألا ترى أن الروس أضروا الاسلام أكثر منا ؟
جمال الدين : لقد إلتهم الروس بعض المناطق مثل القرم وأرض الشراكسة وأخرى بين التركمان ، ولكن انجلترا دمرت الامبراطورية العظيمة فى دلهى ، وغزت مصر والسودان .
راندولف : إن أبناء المهاراتا (الهندوس فى وسط الهند وغربها) هم الذين دمروا امبراطورية المغول .

جمال الدين : لقد جاء المهاراتا وذهبوا . ثم غزا نادر شاه (امبراطور الفرس) الهند ولكنه كان مسلما . أما أنتم فقد بقيتم ودمرتم الامبراطورية . وهناك ثلاثة أسباب جعلت المسلمين في الهند يضررون لكم الكراهية أكثر مما يضررونها للروس . وأول هذه الأسباب أنكم دمرتم امبراطورية دلهى ، وثانيها أنكم لم تدفعوا رواتب للأئمة والمؤذنين وخدم المساجد فى حين حرص الروس على ذلك . وأنتم ألغيتم ملكية الأوقاف ولا تصلحون المباني المقدسة .

راندولف : نحن نقوم بإصلاح بعض المساجد .
جمال الدين : إنما تفعلون هذا لأنها قطع فنية لاتفعلونه من أجل الدين . أما السبب الثالث فهو أنكم تحرمون المسلمين فى الجيش من الرتب الكبيرة ، ولكن الروس لا يحرفونهم .
راندولف : يوجد مسلمون كثيرون فى أعلى الوظائف فى ولايات الأقاليم فى الهند .

جمال الدين : ولايات الأقاليم ليست هى الهند البريطانية . ومالا يصل الى المعدة لاتهضمه . (وهنا ضحكنا)
راندولف : إذن ترى أن انجلترا تمثل خطرا على المسلمين أكبر من خطر روسيا .

جمال الدين : لأرى هذا . وماكان حديثى الا عن الماضى . فانجلترا من هذه الناحية أضرت بنا أكثر من روسيا ولكن الآن روسيا أكثر خطرا . فإذا بقى الروس ، لأقول فى بنجده أو طلفقار أو ميروشك ، وانما أقول فى مرو ، لمدة خمس سنوات فلن تقوم قائمة لافغانستان ولا إيران ولا الا ناضول ولا الهند ، لأنها ستلتهم كل هذه البلاد . وقد أعلنوا أنهم سيجلون عن بنجده ، ولكن هذا عمل لاقيمة له لأنهم سيقون فى مرو .

راندولف : هذا صحيح . ولكن بماذا تنصحنا ؟

جمال الدين : لابد أن تقيموا تحالفاً مع بلاد الاسلام . مع افغانستان وايران والترك والمصريين والعرب يجب ان تقصوا

الروس عن مرو وتعيدوهم الى بحر قزوين . وإذا شئتم أن تكونوا أصدقاء للمسلمين فعليكم أن تتركوا مصر ، لأنه لاخطر على مصر من الأمم الأجنبية . إن قبرص فى أيديكم ، وكذلك عدن ، فماذا تخافون ؟ حتى المهدي لاخوف منه عليكم ، لأنه إذا أقيمت حكومة إسلامية فى مصر فلن يشكل المهدي خطرا عندئذ . ومن ثمة عليكم أن تتحالفوا مع المسلمين . وعندذاك ، يصدقون أنكم أصدقاء . راندولف : هل من الممكن أن نرسل قواتا أو ضباطا الى أفغانستان لمساعدة الأفغان على الروس ؟

جمال الدين : إذا أرسلتم قوات الى قندهار مثلا ، حتى بموافقة الأمير ، فسيكون من حق أى مسلم أن يلوذ بقمة جبل ويشعل ثورة ضدكم ، ويقول أنكم جئتم بادعاء الصداقة كى تستولوا على أرضه . وعندئذ سيصدقه الجميع . ومع ذلك يمكنكم ارسال ضباط ، بعض الضباط ، وهؤلاء لا يستطيعون الاستيلاء على شىء ، ولكنهم سيكونون فى خدمة الأمير . ولكن تذكر أن الروس إذا أقاموا خمس سنوات فى مرفسيكون ذلك بعد ثورات الاوان ، لأنكم ستهاجمونهم عندذاك ، لاعن طريق أفغانستان ، وإنما عن طريق الجانب الآخر ، وعندذاك أيضا سيقوم العلماء (رجال الدين) بالدعوة الى الجهاد كى ينضم الناس الى صفوفكم ضد الروس .

لقد دامت (هذه) المحادثة نحو ثلاثة أرباع الساعة ، ثم انصرف راندولف . لم يقل الكثير لجمال الدين ، ولكنه عبرلى ، وأنا أودعه الى الباب ، عن سعادته البالغة بصراحة الشيخ وصواب رأيه . ووعدنى بإرسال وولف لمقابلته ...

ومن الواضح فى هذا الحديث الذى لم يشغل تشرشل أكثر من دور المستفسر فيه أن الأفغانى كان ملما بأحوال السياسة وتقلباتها فى عصره . كما كان أميل الى القضايا الكلية لالجزئية . فهو لايشغل نفسه بموت المهدي أوعدم موته ، وإنما ينظر الى المهدي كظاهرة قابلة للامتداد ، ويميل الى فلسفة الظواهر التى يتحدث

عنها ، ويحاول أن يستفز الانجليز كي يتحالفوا مع المسلمين بدلا من محاربتهم والاستيلاء على أوطانهم ، يدرك تماما أهمية الرجل الذي يحدثه فيلح - صراحة وضمنا - على ضرورة إنهاء العداء بين الانجليز والمسلمين وإقامة التعاون وبينهم والا تعرض الطرفان لطمع القوى الأخرى وعلى رأسها روسيا . بل إنه يطرح فى ذلك الوقت المبكر فكر الحكومة الاسلامية فى مصر وكراذع لخطر المهدي ، لأن الحكومة الاسلامية التى بدأ المهدي فى إقامتها فى الجنوب ستكون حزاما واقيا للحكومة الاسلامية فى الشمال . يعود بلنت بعد أسبوع الى الأفغانى فيسجل فى مفكرته ماتلا ذلك من تطورات :

٢٩ يوليو

... ذهبت الى كرابيت (بيته الريفى) مع نبي الله (مثقّف هندي مسلم) الذى سيعود الى الهند فى القريب كى يصدر صحيفة هناك . وقد أصبح مثل الباقيين جميعا الذين أفسدتهم الحياة الانجليزية . وقد بذلت أنا وجمال الدين كل ما فى وسعنا لاغرائه بالتخلص من هذه الفكرة بالذهاب الى الحج والكف عن ارتداء الملابس الأوروبية . ولكنه لم يستجب . فالهنود الذين عاشوا فى انجلترا يبهرون بحياتنا وأساليبنا ويجدون من الصعب عليهم أن يعودوا الى وطنهم . وهم عامة يقعون فى غرام امرأة إنجليزية ويهجرون أساليب قومهم . ولقد حدثته بحدة ولكن ذلك لم يفد بشيء . وقال جمال الدين : "ليس أسهل على الانسان من أن يصنع معروفا لنفسه أما إذا شاء أن يصنع معروفا لبلده فلا بد أن ينكر ذاته " فقال نبي الله : "لا أريد أن أكون شهيدا . فأنأ أرجو أن أحتفظ بملابسي الانجليزية وأقدر على ركوب الخيل ولعب التنس والترديد على الأندية عند عودتي" فقلت له : "قد ترتدى أفضل معاندك من ملابس انجليزية وتذهب الى الكنيسة اذا شئت يوم الأحد ، ولكن الانجليز فى الهند لن يستقبلوك ، وتخسر كل نفوذك

عند مواطنيك“

٣٠ يوليو

جاء وولف الى جيمس ستريت كما اتفقنا فى العاشرة والنصف . وقبل أن يرى جمال الدين تحدثت معه حول المسألة العامة فى مصر والسودان وتركيا . وقال لى أنهم (رجال الحكومة) يفضلون بالنسبة لمصر أن يحتفظوا بتوفيق (الخدوي) فى الوقت الحاضر ، وأن اللورد سالسبورى (رئيس الوزراء الجديد بعد جلادستون) لم يقتنع بالموافقة بعد على عودة عرابى ، أما النقاط الأساسية التى ناقشها وولف مع جمال الدين فكانت تتصل بمدى إمكان اعتراف المهدي بخلافة السلطان (العثمانى) وقد أعلن جمال الدين أن هذا مستحيل بالنسبة للمهدي أو خلفائه ، ولكن ربما يقتنع كل من الطرفين بقبول الآخر ، مثلما فعل السلطان العثمانى وسلطان مراكش ، فى حالة جلاء الانجليز عن مصر واقامة حكومة اسلامية بها . ومن ثمة فلا خطر من السودانين . فحركة المهدي دينية ولن يسمح له العلماء (رجال الدين) فى القاهرة بغزو مصر .

وتلا ذلك مناقشة مطولة حول الجلاء (عن مصر) فأعلن وولف أن بسمارك (مستشار ألمانيا) أعلن كتابة لوزارة الخارجية (الانجليزية) أنه يوافق على دخول الفرنسيين مصر اذا تركناها . ولن يسمح الفرنسيون للقوات التركية بالدخول . ولا بد اذن من احتلالها على نحو ما . وبذلك يحتلها الفرنسيون . ولكن السيد (جمال الدين) رفض هذه الفكرة نظرا لأنه يعرف من فيرى (رئيس وزراء فرنسا) وسواه فى فرنسا أنه لن يحدث شئ من هذا القبيل . ومع ذلك فقد وافق الاثنان فى النهاية (ولف والسيد) على أنه من الممكن التوصل الى اتفاق مع السلطان إذا وافقت انجلترا على تحديد موعد للجلاء . ثم طرحت بعد ذلك مسألة تجارة الرقيق فى السودان . فقال جمال الدين أنه سيتمنع اختطاف الأحباش وبيعهم . فهو قادر على ترتيب الأمور والعلاقات التجارية مع

انجلترا ومصر . وليس من الصعب اقناع السلطان بترتيبات معقولة فيما يتعلق بمصر - وقد اقترحت سفر جمال الدين الى القسطنطينية اذا دعت الضرورة الى ذلك وليس من الصعب أيضا ان يقترح السلطان (على الانجليز) اعادة عرابى . ومع ذلك أوضح وولف أنه لا يمكن اقرار أى شىء بشكل نهائى الا بعد الانتخابات ، وأن مهمته الحالية هى الاستطلاع والاعداد لسياسة تتخذ . أما الانتخابات فستقرر امكان تحقيق هذه السياسة . وقد دامت محادثتهما ساعة ونصف الساعة .

٤ أغسطس

... حدثنى دراموند وولف مرة أخرى عن فر جمال الدين الى القسطنطينية . وقال : انه (الافغانى) متشدد فى آرائه أكثر من اللازم فيما يتعلق بعدم تسليم المهدي بخلافة السلطان . ومع ذلك سوف يرسل فى طلبه اذا احتاج إليه ، وسيتصل بى عن طريق راندولف الذى يتعامل معه بشفرة خاصة . وهذه سمة جديدة فى دبلوماسيتنا .

٥ أغسطس

... بعث دراموند وولف تلغرافا من بورتسموث (الميناء المطل على القناة الانجليزية) طالبا رؤية جمال الدين مرة أخرى .

٦ أغسطس

نزلت الى لندن مبكرا مع جمال الدين وأجرينا حديثا مطولا مع دراموند وولف . وهو (وولف) يؤيد تماما فكرة الحلف التركمانى الايرانى الافغانى ، ولكنه يقول أنه لن يستطيع التحدث عنها الى السلطان الا إذا مسها الحديث لأن ذلك من اختصاص السفير (الانجليزى) ولكنه سيحدثه عن مصر . وقد أبدى (وولف) لهفة كبيرة على معرفة كيفية التوصل الى اتفاق بين السلطان والمهدي . فهل يقبل المهدي الاعتراف بالخلافة ؟ قال جمال الدين ان الوقت لم يحن بعد لضرورة اقرار هذه النقطة ، وحتى اثارها . فما يهم

السلطان حقيقة هو تحديد مدة الاحتلال الانجليزي . فقال وولف أن هذا أمر ممكن ، وأنه سيقترح أن يتعاون السلطان (مع الانجليز) في اقامة نظام مستقر للأمور اعداداً لجلاء الانجليز . وعلق جمال الدين على هذا بأن كل شيء يمكن ترتيبه بشكل مرض ، ولايهم ما اذا كانت القوات التي ستشكل الحامية البديلة تركية أو انجليزية . وأعقب ذلك جانب كبير من الحديث عن مدى ضرورة سفر جمال الدين الى القسطنطينية وقت وجود وولف بها . وكانت النقطة الأساسية تتعلق بمدى ادراك السلطان لهذا التحرك على وجهه الصحيح . فقال جمال الدين ان السلطان لايعرف عنه الا انه عدو للسياسة الانجليزية . واذا لم يشرح وولف الوضع لجلالته فسوف يتصور أن جمال الدين جاء الى القسطنطينية كي يحبط مهمة وولف . ومع ذلك قال وولف أن من الصعب عليه حماية جمال الدين أو الظهور بأنه على صلة به . وهنا اثثرت أيضا مسألة التمويل ولكنى عرضت تزويد السيد بأى مبلغ من المال يحتاجه حتى لا تثار أى أسئلة غير مريحة . وشرح وولف أنه لن يحيط اللورد سالسبورى بأى شيء حول السيد أو ترتيباته معى . وقال : ان سبب ارسالى هو أننى مستعد لتحمل مسئوليات من هذا النوع قد يرفضها غيرى . وسوف تكون لى مع راندولف شفرة خاصة . واذا أردت السيد أو كان عندى شيء آخر أريد إبلاغه لك فسيكون ذلك عن طريقه (راندولف) ومع ذلك أوضح وولف مرة أخرى أنه يتوقع امكان انجاز أى شيء بشكل نهائى قبل نهاية الانتخابات . فالفرنسيون يعارضون بشدة ارسال قوات تركية الى مصر . وبسمارك لن يبدى أى تأييد حازم الا بعد الانتخابات .

تحدثنا أيضا عن اعادة عرابى وقال جمال الدين انه من السهل جدا اقناع السلطان بالفكرة واقتراحها . اذ تكفى لتحقيق ذلك كلمتان منه وكررت هذا القول لـ وولف ،بعد مغادرته بيتى ، فى نادى كارلتون . ولكنه قال : "ليس من المفيد على الاطلاق الآن أن نثير مسألة عرابى ، ولكن من الممكن إثارتها بعد الانتخابات " فاللورد

سالسبورى يحتاج الى المشاورة فى هذا وغيره من الأمور .
٧ أغسطس

... كان دراموند أيضا موجودا بالنادى ، فتحدثنا مرة أخرى عن زيارة جمال الدين الى القسطنطينية وكانت آخر كلماته هى أنه سيكتب الى راندولف أو يبرق له ثم يتولى الآخر نقل الأمر إلى .
١٣ أغسطس

... عند عودتى الى البيت وجدت رسالة مهمة من تشرشل . وتضم برقية محولة الشفرة من وولف يطلب فيها أن يلحق به السيد (جمال الدين) فى القسطنطينية . وقد تألق السيد هنا تألقا شديدا خلال الأيام العشرة الماضية . وقدم لنا أثنى معلومات عن ماضى بلاده والبلاد الأخرى . فهو يقول ان نادر شاه ابن لأحد التجار فى مدينة قلعات . وقد ثار ضد الحكم الأفغانى وطرد الأفغان من ايران ، ثم غزا أفغانستان والهند العليا . وكان هو الذى وهب الخيول العربية للتركمان ، ومنها جاءت السلالة التى يملكونها حاليا .

كان ينزل عندنا ابن خالى آرثر تشاندلر ، وهو عالم دينى فى أوكسفورد أصبح منذ ذلك الوقت قسا من قسس المستعمرات . فرتبت له أن يتناقش مع جمال الدين حول أسس الدين . وسارت المناقشة بلغة فرنسية باردة ولكن بروح متحمسة من جانب السيد الذى فاز فى الجدل بلا منازع .
١٤ أغسطس

نزلت الى لندن مع السيد . وذهبت على الفور الى مكتب الهند (وزارة شؤون الهند) حيث وجدت راندولف فى أشد حالات الاكتئاب والارهاق بعد الجلسة التى كان موعدها اليوم . ومع ذلك فسيذهب الى اسكتلندا غدا . وقد أبلغته بأن السيد على استعداد لبدء رحلته فورا ولكنه يصر على أن يلمح وولف للسلطان مباشرة أو بطريق غير

مباشر الى انه (الافغانى) لم يعد عدوا للانجليز ، ويرجو الايبدا وولف مفاوضاته قبل وصوله والا يحاول معالجة المسألة المصرية منفصلة عن مسألة الحلف الاسلامى . وقد ادرك راندولف ببديته الحاضرة المعتادة هذه النقاط فى الحال . فكتب الى وولف برقية بما معناه : "جمال الدين يسافر الى القسطنطينية يوم الأحد . ولكنه يقول أن السلطان لايعرف عنه سوى أنه عدو الانجليز . فمن اللازم التلميح الى أنه أصبح صديقا لنا . وهو يرجو الا تفتح المسألة المصرية مع السلطان منفصلة عن المسألة الأكبر ، وهى الحلف الاسلامى . ويعتقد أنه سيخدمك فى المسألة الأخيرة خدمة جلية"

وقد قابلت ابراهيم (المويلحى) ايضا . وكنت أرجو أن أراه قبل ذلك لأنه يؤيدنى ضد السيد تأييدا كبيرا ، فضلا عن أنه أجرا منه . وأرى أن يسافر الاثنان فى الحال دون انتظار رد من وولف . فلا أحد يستطيع التنبؤ بما قد يحدث من تغيير فى رأى . ان الكرة الآن عند اقدامنا ويجب أن نلعبها بشجاعة . ولكنى أخشى أن يفزع وولف من البرقية التى أصر السيد على ارسالها . ولو كان الأمر بيدى لوجب أن يسافر بلا شروط ، لأن وولف لا يستطيع أن يرفض حمايته عند وصوله . ولكن ، سنرى .

١٥ أغسطس

وصلت برقية من بيث (مدينة صغيرة فى النمسا) تفيد بأن وولف أجل سفره حتى يوم الثلاثاء . وهذا سيتيح لجمال الدين وقتا للحاق به هناك وسيسافران معا بالقطار ، أما ابراهيم (المويلحى) فيسافر الى فارنا (مدينة فى بلغاريا) وهناك ينتظر الأوامر الأخرى . جئت الى لندن لهذا الغرض . وقد تأجل البرلمان أمس . ولندن خالية . أفزعنى أن أجد خطابا فى جيمس ستريت من مورسكرتير راندولف - يتضمن تلغرافا من وولف - كما توقعت بالضبط . وفيه يقول انه غير رأيه فيما يتعلق بجمال الدين ، وإن من

الأفضل الا يسافر (جمال الدين) حتى يبعث بتلغراف آخر من القسطنطينية . وذهبت أولا الى مورفي مكتب الهند ، وتباحثت معه فى الأمر ووافقتنى على أن عدم سفر السيد خسارة ، وأنه يحسن بنا أن نرد بتلغراف نقول فيه ان الوقت قد فات على ايقافه عن السفر . ولكنه لن يفعل أى شىء بدون أمر وولف . ولذا ذهبت الى كونوت بلاس (حيث بيت تشرشل) وقابلت راندولف .

كان مريضاً يعانى من احتقان خفيف فى الرئتين ولكنه يقول ان حالته أفضل اليوم . وبحثنا الموضوع بكامله . ولكنى لم أستطع حثه على أن يدعى أرسل السيد ، ولذا توقف الموضوع كله . والجانب المتعب فى الأمر هو أن فائدة جمال الدين العظمى لنا كانت قد بدأت بالفعل . ولكن لفائدة الآن لقد حجزت تذكرتين للسيد وابراهيم وسلمتهما ١٠٠ جنيه لنفقات الرحلة . بكل هذا ذهب بلا فائدة .

ظللت أعتقد أن تغيير وولف لرايه فى هذه المناسبة أحبط نجاح مهمته ، وأن فشل تلك المهمة كان يرجع الى أنه بداها بالطرق المعتادة فى الدبلوماسية الانجليزية ، بدون ذلك التأييد المعنوى الذى كان من الممكن أن يتيح له السيد جمال الدين عن طريق الجمعيات السرية فى القسطنطينية وغيرها

وهكذا انتهت هذه الجولة من المشاورات بين الأفغانى والانجليز نهاية مفيدة لهم . فقد حصلوا منه على بعض المعلومات والنصائح المهمة . وأبدى لهم استعدادهم للتعاون معهم على أساس شروط معينة أهمها الجلاء عن مصر والسودان ومصالحه السلطان العثمانى ومخالفة المسلمين . وقد أبدى هذا كله بعزة وكرامة .

فكر فى إعادة الخلافة الى العرب ثم وضعه السلطان فى قفص من ذهب

ظل بلنت يأمل أن تسير الامور فى مجراها الذى رتبها لها حتى آخر لحظة . وظل الأمل يراوده فى أن يبعث وولف فى آخر لحظة ببرقية يستدعى بها الأفغانى . وبقي الأفغانى ضيفا على بلنت ومرة أخرى نتابع ماجاء فى مفكرة بلنت بعد سفر وولف وحده :

٢٧ أغسطس

وصلتني مذكرة من مور (سكرتير تشرشل) يطلب فيها أن اذهب لمقابلته . وكان راندولف قد أبلغه أن يقرأ على فقرة من خطاب لـ وولف (أرسله وهو فى طريقه الى العاصمة العثمانية) وكانت الحقيقة أنه فى وضع دقيق فيما يتعلق بمهمته لدرجة أنه من المخاطرة أن يظهر بأنه على معرفة بجمال الدين . وقال ان جمال الدين يعارض خلافة السلطان على السودان ، وأنه إذا اعترف بأنه صديقه فقد يظن السلطان عند ذلك أن لديه مخططا ما على أساس ماله من ادعاءات روحية . ومن ثمة فهو (ولف) لا يريد أن يخاطر بذكر اسم الأفغانى . وهذا كله كلام فارغ فمسألة خلافة السلطان لا تحتاج الى ان تثار مطلقا . وجمال الدين ليس معروفا بأنه يعارضها . فقد كانت صحيفته - على العكس من ذلك - عالية الصوت فى تأييد حقوق السلطان . ومع ذلك فقد رفض السيد السفر الى القسطنطينية بدون اعتراف ما من جانب وولف ، لأنه

يقول ان نفوذه سيقضى عليه فى كل مكان اذا أغلق السلطان بابه
فى وجهه . ولكنى سأقابل راندولف غدا .
٢٨ أغسطس

ذهبت الى راندولف فى الواحدة والنصف فى مكتب الهند . يبدو
مرهقا ومريضا ، لا يزال مضطرا الى البقاء فى المدينة . ولكنه
يتحدث عن ذهابه الى اسكتلندا فى الأسبوع القادم . وأنا أحس
بالاقتناع بأنه لن يعيش سنتين أخريين أو أنه سيضطر الى اعتزال
الحياة العامة . وقد تباحثنا حول مسألة جمال الدين . ولكن مادام
جمال الدين يرفض الذهاب الى القسطنطينية بدون تأييد من
وولف ، ومادام وولف يرفض الالتزام بجمال الدين فقد اتفقنا على
أن يظل الوضع كما هو عليه ...
٤ سبتمبر

تلقى ابراهيم بك (المويلحى) من اسماعيل جودت رسالة أخرى
ضاغطا عليه كى يذهب لمقابلة السلطان . وتقرر أن يسافر . وقد
سمع السلطان أن جمال الدين قابل أحد الوزراء (الانجليز) فأرسل
الى ابراهيم بالحضور لمعرفة الحكاية . وهو يريد جمال الدين
أيضا ، ولكن السيد يقول أنه سينتظر حتى يرسل اليه أما بالنسبة
لابراهيم فلا خطر عليه . وسوف أطلب منه الاتصال بوولف وأقوم
بإبلاغ راندولف بذلك .
٦ سبتمبر

سافر ابراهيم فى الليلة الماضية الى القسطنطينية وسيبقى
جمال الدين فى لندن .
٢٠ سبتمبر

نشبت ثورة فى اقليم روميليا (التركى) بتدبير من روسيا ردا على
بعثة وولف ، أو بالأحرى تضامنا مع ماستقضى عنه الانتخابات .

هنا . وكان جمال الدين يقول دائما انهم سيتحركون قبل شهرين من الانتخابات . (الانجليزية) وها قد حدث ...

٢٣ سبتمبر

وصلت رسالة من ابراهيم يروى فيها ماحدث له . يقيم الآن مع جودت . وقد ذهب الى القصر ، وتقرر أن يقابل السلطان بعد عيد الأضحى . الجميع غاضبون منه لأنه لم يأت قبل ذلك . وسوف يرسل السلطان مبعوثا الى جمال الدين للتشاور .

٢٤ سبتمبر

تباحثت حول مسألة الرومليا كلها مع جمال الدين . واتفقنا على أن النمسا ، لاروسيا ، هي التي شجعت الحركة الحالية . وقلت للسيد أنه من غير المفيد ضمان تركيا الأوروبية تحت حكم السلطان ، وان اللورد سالسبورى لن يخاطر بضمانها . أما هو (الأفغانى) فلا يوافق على هذا رأى ، ولكنه يرى أنى محق على أى حال . توجد مذكرة لجوردون كتبها سنة ١٨٨٠ ويوصى فيها بتجزئة الامبراطورية العثمانية ، وبحيث تذهب مصر الى انجلترا ، وسوريا (الشام) الى فرنسا ، وأرمينيا الى روسيا ، وتركيا الأوروبية الى الدول المسيحية المستقلة . ويعتقد جمال الدين أن وولف له يد فى الحركة الروميلية . ولكنى لأرى ذلك .

٢٨ سبتمبر

حضر منيف باشا (مبعوث السلطان) الى لندن وقابل السيد ويريد أن يقابل تشرشل . كتبت حول هذا الموضوع .

٦ اكتوبر

كان فريد بك (أحد زعماء حركة الدستور العثمانية) قد كتب الى يطلب مقابلتى فجاء اليوم على الغداء . وكان معنا جمال الدين . وبسبب وجوده لم يتناول فريد بك سوى العموميات . ولكننا انتقلنا

٤٩

بعد الغداء الى الطابق العلوى ، فلم يكشف عن الموضوع الحقيقى الذى جاء من أجله الا بعد كثير من اللف والدوران .
(وخلاصته سوء حال الامبراطورية وتداعيتها وضرورة عمل شىء ، أى القيام - كما يقول - بإعادة النظام الدستورى الذى وضعه مدحت (باشا) وسلب السلطان سلطاته المطلقة ، والا فالثورة على الأبواب . ولكنهم يخشون روسيا وتدخلها العسكرى . ويرى أن بسمارك يعارض فكرة الحكومة الدستورية ، ولكن ربما أيدها سالسبورى . وهو يريد معرفة ما إذا كانت الحكومة الانجليزية ستسمح بالتدخل الروسى أو تغيير السلطان . فقد يرمى السلطان نفسه فى أحضان الروس . وعندئذ هل تقف انجلترا مكتوفة اليدين ؟ وطلب من بلنت أن يتحسس الرأى (الحكومى) فى سرية وكتمان لأن التجسس أصبح من الخطورة بحيث يسرى على الولد من أبيه والآخر من أخيه (فى تركيا) وطمأنه بلنت بعرض الموضوع على تشرشل ، ولاسيما أن بعثة وولف لم تصل الى نتيجة . وأوضح فريد لبلنت أن السفير التركى فى بريطانيا (موسورس باشا) لا يعلم شيئاً عن الموضوع فضلاً عن أنه خائن فى نظره)
ورجاني (فريد بك) ألا أتحدث عن الموضوع الى جمال الدين لأنه غير حكيم ، فضلاً عن أنه فقير ، قد تغريه الضرورة ذات يوم . وقد رتبت مع مور مقابلة راندولف غدا .

٧ أكتوبر

فى الثانية عشرة قابلت راندولف بمكتب الهند . ولما وجدت أمور وولف راكدة أطلعته على ماسمعته دون أن أذكر المصدر بالطبع ، ولكنى اكتفيت بأنه شخص عالى المكانة لا يتصل بجمال الدين بأى شكل من الأشكال ، أو بأى من أصدقائى الآخرين (روى بلنت الموضوع وسمع رأى تشرشل) ... ثم روى لى شيئاً عن التقدم الذى أحرزه وولف . فقد انتهى الى ضرورة أخذ الحزب العربى فى القسطنطينية فى الاعتبار . وهو (وولف) مندهش من أن ابراهيم لم

يتصل به حتى الآن . فقلت لعله ممنوع بأمر السلطان . وقد وصلنى اليوم خطاب من ابراهيم يقول فيه أنه كان قد أرسل للسلطان تقريراً كاملاً عن أعماله فى انجلترا وعن الآخرين . ولكن السلطان نسى كل ما يتعلق بـوولف وانجلترا وكل شيء عدا روميليا .

٨ اكتوبر

تحدثت حديثاً مطولاً مع جمال الدين عن التوقعات المتعلقة بالقسطنطينية والخلافة ، وهو يؤيد المهدي او خليفة المهدي الذى سيحل محل السلطان ، أو الشريف عون أو امام صنعاء - فأحد هؤلاء سيأخذ الآن - فى رأيه - بزمام الأمور . ولكن القسطنطينية لابد أن تظل مقر الخلافة ، مثلها مثل الجزيرة العربية أو أفريقيا ، فى كونهما مجرد أماكن للنفى . وقال لى ضمن أشياء أخرى أنه هو نفسه الذى اقترح على الشريف حسين أن يطالب بالخلافة ولكن الحسين رد بأن ذلك أمر مستحيل بدون تأييد مسلح ، وإن العرب لن يتحدوا مطلقاً الا تحت راية الدين .

إن جمال الدين متحمس جداً الآن للذهاب الى الشرق مرة أخرى . ولكنه يقول انه لن يذهب الى القسطنطينية ما لم يبعث اليه السلطان . وقد اتفقنا فى حالة عدم فوزى فى الانتخابات عن دائرة كامبرول أن نذهب معا الى امام صنعاء فى اليمن وأن يثير مسألة الخلافة على النحو الذى كان فى نيته منذ أربع سنوات . وسألته عما اذا كان يعتقد أن السلطان قد اغتال الحسين فقال : كلا ، ولكن ربما فعلها أحد الباشوات (الولاة) ...

١٢ اكتوبر

عدت الى لندن . أعلن أن بعثة دراموند وولف قد نجحت . وتقرر أن يرسل السلطان ممثلاً عنه الى مصر بصحبة وولف . أتوقع أن يكون ابراهيم بك قد خدم فى تحقيق هذا المشروع .

٢١ اكتوبر

فى المساء عقدنا اجتماعا كبيرا بقاعة أوكلى (فى لندن) لاعضاء الوفد الهندى . وجئنا بجمال الدين ليلقى خطابا بالعربية لم يفهمه أحد فى القاعة ، ولكنهم صفقوا طويلا له .
٢ نوفمبر

كتب راندولف لى قائلا ان اللورد سالسبورى لن يبدى لى على وجه اليقين أى رد مشجع حول عرابى ...
ظهر جمال الدين هذا الصباح مرة أخرى . وكان قد تغيب بشكل غامض نحو يومين أو ثلاثة عن جيمس ستريت . فقد ترك البيت فى أعقاب مشادة ساخنة وقعت فى غرفته يوم الخميس بين اثنين من أصدقائه الشرقيين ، وهبى بك (أخ غير شقيق لابراهيم المويلحى) وعبد الرسول (رجل من كشمير عمل بالصحافة فى لندن) . ويبدو أنهما تشادا حول السياسة أو الدين وانتهى الأمر بأن ضرب كل منهما الآخر على رأسه بالمظلة . وكان على أن أطلب منهما مغادرة البيت فاتبعهما السيد .
ان الانسان لابد أن يضع حدودا على أى حال . وقد اقترحت الآن على السيد أن ينتقل الى مكان اخر . فقد أقام عندى ثلاثة أشهر وهى مدة الضيافة العربية كاملة .
ملاحظة :

”كانت هذه آخر مرة رأيت فيها السيد الطيب فى ذلك العام . فقد غضب من معاملتى لصديقيه ، وغضب أكثر لخيبة أمله فيما يتصل ببعثة دراموند وولف . وغادر انجلترا بعد بضعة أيام غاضبا على كل ما هو انجليزى ، نافضا نعليه من غبار الانجليز . ثم ذهب الى موسكو حيث انضم الى كاتكوف زعيم الوحدة السلافية المعروف فى حملة ضد الامبراطورية البريطانية . ومن روسيا ذهب الى ايران وافغانستان لذات الهدف . وبعد كثير من التحريض وكثير من العنت من جانب حكومات هذه البلدان جميعا حمل رحاله

فى النهاىة وذهب الى القسطنطينية ، حيث وجدته بعد سنوات طوال مستقرا فى ملحقات قصر يلدز ، نصف مسجون ونصف مدعوم من السلطان . وقد مات هناك بالسرطان ، وان كان بعضهم يظن انه مات بالسم عام ١٩٠٢ (الصواب ١٨٩٧) ولم يعتن به كما سمعت سوى خادم مسيحى .

لقد كان جمال الدين رجلا عبقرىا اكتسبت تعاليمه نفوذا من الصعب التقليل منه على حركة الاصلاح المحمدى خلال السنوات الثلاثين الماضىة . واشعر بأنى قد شرفت باقامته ثلاثة اشهر تحت سقف بيتى فى انجلترا ، ولكنه كان رجلا برى الطباع ، اسوييا من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، ليس من السهل ترويضه على الاساليب الأوربية . وسوف اروى عن زيارتى التالية له فى القسطنطينية فى مكانها . »

(عند هذا الحد انتهى ذكر الأفغانى فى كتاب « جوردون فى الخرطوم » لبلنت ، ولم يبق سوى رسائلهما المتبادلة فى ملحقات الكتاب ، وقد اشرنا إليها من قبل ، ولكن قبل ان ننقل الى الزيارة التى اشار إليها بلنت نجد من المهم ان نعلق على تلك الجولة الأخيرة التى مرت بها علاقة بلنت بالأفغانى . ومن الواضح - كما رأينا - ان الأفغانى كان يسعى إلى تحرير الهند ومصر والسودان وأفغانستان من الانجليز مقابل التحالف معهم على أساس الصداقة . وكان يسعى فى الوقت نفسه إلى إعادة عرابى من منفاه وتأسيس خلافة عربية أفى اراضى العرب داخل الامبراطورية العثمانية . ولكن هذا السعى كله لم يواجه عند الانجليز ترحيبا عمليا . بل أنهم نالوا من الأفغانى أقصى ما يستطيعون من معلومات وافكار واقتراحات ثم تركوه . وقد اكتشف هو نفسه هذا الغدر فى النهاىة فقطع الهدنة التى وضعها مؤقتا فى صراعه مع الانجليز وعاد إلى سابق نضاله ضدهم . وليس من الصواب أن نتهمه هنا بالتعاون مع الانجليز . فقد كان واضحا محتفظا بكبريائه فى تعامله معهم . ولكن اشتغاله بالسياسة فى ذلك الوقت كان ينقصه التعاون

الحقيقي مع الأطراف المعنية مثل حكومات البلاد التي ذكرناها ،
وهي حكومات كانت تعاديه فى السر والعلن . ولم يكن لديه أى
تفويض من أى حكومة للتشاور أو التباحث باسمها ، وهذا ما أدركه
الانجليز واستفادوا منه .

ومع ذلك فمن الواضح أيضا أن زيارة الأفغانى للندن قد أصابته
بخيبة الأمل ، لا فى الانجليز وحدهم وإنما فى صديقه بلنت أيضا .
وقد انقطع الاتصال بينهما عقب ذلك نحو ثمانى سنوات . وجاء
الأفغانى إلى لندن مرة أخرى عام ١٨٩١ ولكنه لم يسع إلى رؤية
صديقه . ولكن بلنت سعى إلى رؤيته فى ابريل ١٨٩٢ حين زار
عاصمة الخلافة التى رحل إليها الأفغانى من لندن بتأثير إغراءات
السلطان .

كتب بلنت فى مذكرته بالجزء الاول من يومياته أنه زار الأستانة
فى ابريل ١٨٩٢ وعلم من ابراهيم المولى أن أحوال الأفغانى
على مايرام و « أن السلطان عرض عليه جميع الرتب والنياشين
ولكنه رفضها بحكمة . وفى اليوم التالى رده كبير التشريفات عن
الحفل المقام فى القصر بمناسبة العيد ، ولكن جمال الدين لم يأبه
به وشق طريقه حتى اجتذب انتباه السلطان . وعند ذاك طلبه
السلطان وسمح له بالوقوف قريبا منه خلف كرسى العرش بل جعله
أقرب إليه من كبير الخصيان . وهكذا فإن جمال الدين هو الشخص
الذى يلتبس عنده المعروف ، وسأزوره غدا . (٢٦ ابريل) غير
أننى نسيت حكاية المظلة فى الغرفة الخفية فى جيمس ستريت .
ياله من غبى دراموند وولف حين غير رأيه فى فينا ، ولم يضح
السيد معه إلى القسطنطينية سنة ١٨٨٥ على النحو الذى رتب
ضرورة سفره معه ! كان سينجح فى معاهدته وفيما فشل فيه »
وقد كتب بلنت هذه الفقرة فى يوم ٢٤ ابريل . ولكنه لم يزد
الأفغانى إلا فى ٢٦ ابريل . وكان قد وضع فى خطته أن يقابل
السلطان ، ووجد فى الأفغانى عونا على تحقيق رغبته .

نعود إلى فكرة بلنت :

٢٦ ابريل ١٨٩٣

فى الثالثة (بعد الظهر) ذهبت مع جوديث (ابنته) إلى نيشا
نطاش فى المسافرخانه ، وهو المقر الرسمى لكبار الزوار المتصلين
بيلدز (القصر السلطانى) حيث يعيش جمال الدين . وقد استقبلنا
الأفغانى العجوز بذراعين مفتوحتين ، وقبلنى على وجنتى داخل
غرفة مليئة بأترك محترمين ، وجعل جوديث تجلس فى المقعد
الرسمى ذى المسندين . وقدم لنا شايا وقهوة ، واحتفى بنا ساعة
ونصف الساعة . وكانت أن (زوجة بلنت) قد كتبت له اعتذارا
قصيرا بالعربية قرأه على الحاضرين مرتين أو ثلاثا مبديا إعجابه
الشديد بأسلوبها وسلامة لغتها . ثم دار بيننا حديث طويل فى
السياسة ، بعضه بالعربية وبعضه الآخر بالفرنسية التى يتحدثها
جمال الدين بطلاقة . وكان ابراهيم المويلحى حاضرا ، ولكن
الآخرين لم يفهمونا (فقليل من الأتراك من يعرف العربية) وسألنى
جمال الدين عن رأيى فى كثير من الشخصيات فى مصر مثل
الخديو (توفيق) ورياض (رئيس الوزراء) ومختار (ممثل السلطان)
وتجران (وكيل الخارجية الأرمنى) وشرحت له الموقف فى إنجلترا
أيضا . وكان هو قد زارها لبضعة أشهر فى العام الماضى وخرج
بأفكار غير صحيحة - ومنها أن الجلاء عن مصر كان سيتحقق لولا
انقلاب الخديو (على الانجليز) . ولم يفهم أن حزب الأحرار
الانجليزى قد خضع منذ مدة طويلة لروزبرى . ولم نتحدث عن
الأحوال هنا (فى تركيا) . فيما عدا أن السلطان سيؤيد عباس
(الخديو) بلاشك مادام يعارضنا فى مصر ، وأن عبد الحميد
(السلطان) لن يطالب بأى تدخل فى الحكم هناك .

كانت الزيارة مرضية فى مجموعها . ويبدو أن فرصتى للقاء
السلطان بقصر يلدز كبيرة ، ولكنى أبلغت جمال الدين بأننى
لا أستطيع التأخر عن يوم الاثنين .

ولم يستطع بلنت أن يقابل السلطان على أى حال . اذا طلب
جمال الدين مهلة اسبوع حتى يحصل من القصر على موعد

للمقابلة ، ولكن بلنت أصر على السفر . فلما فشلت المساعي لاتمام
المقابلة وعد الأفغانى صديقه بإعادة ترتيبها خلال الصيف . ومع
ذلك رخل بلنت عن الاستئنة غير نادم على المقابلة ولا راعب فيها .
غير أن ذكر الأفغانى لم يزد كثيرا بعد ذلك . بل لم يزد أكثر من
مرتين عابرتين ضمن أشياء أخرى كان بلنت حريصا على تدوينها
فى مفكرته . أما المرة الأولى ففى ٧ ديسمبر ١٨٩٥ . وكان بلنت فى
القاهرة فسجل بعض أخبار الاستانة التى وصلتته عن طريق ابراهيم
ابن عبدالله بن ثيان بن شعوب النجدى . ومن هذه الأخبار أن
"جمال الدين لم يعد يتردد على القصر" ، وأما المرة الأخرى ففى
١٦ ديسمبر ١٨٩٥ . حين قابل بلنت الخديو عباس (حلمى) الذى
حدثه عن رحلته الى الاستانة خلال صيف ذلك العام وكيف أنه
"رتب ذات مرة أن يقابل الشيخ جمال الدين على انفراد فإذا
بجاسوس (للسلطان) يتتبعه عن قرب لدرجة أنه (أى الخديو)
استدار نحوه وضربه . وأرسل الى القصر رسالة بأنه سيطلق النار
على أى شخص يضايقه مرة أخرى".

ومع ذلك كله يستوقف المتتبع لعلاقة بلنت والأفغانى أن الاول لم
يذكر شيئا فى حينه عن وفاة صاحبه فى مارس ١٨٩٧ ، مع أنه كان
يذكر الكثير عن أناس أقل شأنا فى الغرب والشرق . وليس من
الممكن أن نرد ذلك الى أنه لم يعرف خبر وفاته . فقد عرف الخبر
فى القاهرة عقب وفاة الأفغانى بأيام . وكان بلنت على صلة مستمرة
بمحمد عبده ، ودائم التسجيل لمحادثاتهما شبه اليومية أثناء
وجوده بالقاهرة ، ولكن محادثاتهما لم تتطرق الى موت الأفغانى ولا
الى مصرع شاه ايران الذى سبقه بأشهر خمسة ويبدو أن فى
الأمر سرا ، فلا بلنت يكتب يرثى صديقه ولا محمد عبده كتب يرثى
أستاذه . ونحو الصديق والتلميذ بعد ذلك دون أن يكشف عن شيء
من هذا السر

غير أنه حدث عام ١٩٠٩ أن سكان المستشرق الانجليزى ادوارد
براون يستعد لانتهاء كتابه الضخم "الثورة الإيرانية" فأرسل الى

بلنت يستكتبه معلوماته ورأيه عن الافغانى . ورد بلنت برسالة مسهبة رجع فى معلوماتها الى يومياته . ونقتطف هنا منها ما لم يرد فى تلك اليوميات التى نقلناها من قبل . فقد ذكر بلنت لقاءهم الاول فى لندن فى ربيع ١٨٨٢ ثم انتقل الى ماتلا ذلك من لقاءات ، وكيف كتب له الافغانى رسائل توصية لأصدقائه فى الهند . يقول بلنت :

” اثبتت الخطابات التى أعطانى اياها الشيخ انها على جانب كبير من الفائدة بالنسبة لى فقد وجدته علما فى كل مكان من الهند . وفى كلكتا كان ثمة عدد من الطلاب المسلمين الشباب كرسوا أنفسهم تماما لمبادئ الجامعة الاسلامية فى الاصلاح الحر ، وكذلك كانت الحال فى المدن الكبيرة الأخرى فى الهند الشمالية .

” لقد كان خصما للحكم الانجليزى بجماع قلبه ، ولكن دون أى تحيز متعصب فى الوقت نفسه . وكان فى مقدوره أن يرحب بشروط عادلة من الاتفاق مع انجلترا ويعتقد أن هذا الاتفاق أمر ممكن . وقد ثبت لى هذا فيما بعد عند عودتى الى أوربا سنة ١٨٨٤ “

وينتقل بلنت الى الحديث عن صدى رحلته الى الهند عند الافغانى ورأيه فى مشكلة جوردون فيقول : ” سره نجاح رحلتى الهندية ، وحثنى على بذل جهود أخرى فى سبيل الاسلام . وكانت مهمة الجنرال جوردون فى الخرطوم قد أدت الى اثاره كبيرة فى انجلترا والقاهرة على السواء . وسعيت اليه طلبا للنصح والعون حول امكان ارسال وفد للصلح الى المهدي الذى كان على اتصال به تقريبا ، وكذلك حول امكان تدخله للتأثير على انسحاب جوردون ، فأبدى ترحيبه للمعاونة فى هذا المشروع فى حالة أن يطمئن الى حسن نوايا وزارة خارجيتنا . وعند وصولى الى لندن قمت بالاتصال بجلادستون فى هذا الشأن . وأعقد أن جلادستون كان يرحب بأن يستفيد بمعاونته . بل ان الأمر مضى الى أبعد من ذلك حين عرض على مجلس الوزراء . ولكن قضية الصلح لم تكن

فى مخططات وزارة الخارجية فانتهى الأمر برفض العرض .
ويفسر بلنت تطورات الأحداث بعد ذلك قيقول :
" وفى السنة التالية ، ١٨٨٥ ، كان جلادستون قد ترك الوزارة ،
وأصبح اللورد راندولف تشرشل - الذى كنت على علاقة ودية به -
وزيرا لشئون الهند ، فأقنعت جمال الدين بالمجئ الى لندن
لمقابلته بغرض مناقشة شروط التوصل الى حلف بين انجلترا
والبلاد الاسلامية . ونزل عندى ضيفا لمدة تزيد على ثلاثة أشهر ،
بعضها فى كرايبث (ريف انجلترا) وبعضها الآخر فى لندن ، حيث
أتيح لى أن أعرفه معرفة ودية وثيقة . وقدمته الى العديد من
أصدقائى السياسيين ، ولاسيما تشرشل ودراموند وولف . واحتفظ
فى بيتى بملاحظات شيقة حول محادثاته معهما فى بيتى . وقد تم
ترتيب أن يسافر مع وولف الى القسطنطينية ، فى مهمته الخاصة
لدى السلطان ، بقصد أن يمارس نفوذه على بطانة عبدالحميد
الداعية الى الجامعة الاسلامية ، حتى يمكن التوصل الى تسوية
تتضمن الجلاء عن مصر والتحالف بين انجلترا وتركيا وايران
وأفغانستان ضد روسيا . وفى آخر لحظة للأسف تحلل وولف من
التزامه بأخذ السيد معه . وأنا أعزو (جزئيا على الأقل) لهذا التغيير
فى رأى المصاعب التى واجهتها بعثة وولف وفشلها فى
النهاية . وقد شعر السيد بالاساءة الشديدة نتيجة التخلّى عنه ، لأن
تذكرته الى القسطنطينية كان قد تم حجزها . ومكث بعد ذلك بضعة
أسابيع فى لندن بلاعمل ثم غادرها فى النهاية الى موسكو غاضبا
مستاء حيث تعرف بكاتكوف وألقى بنفسه داخل المعسكر المضاد
الذى يناصر التحالف بين روسيا وتركيا ضد انجلترا "
ثم ينتقل بلنت الى المرحلة الأخيرة فى علاقتهما بعد انقطاع
ثمانى سنوات حيث راه فى عاصمة الخلافة ، فيقول :
" وجدته مستقرا فى القسطنطينية مقربا من السلطان
عبدالحميد ، سجيننا من سجنائه فى المسافر خانه فى نيشان طاش

(الضاحية) خارج سور حديقة قصر يلدز"
ويروى كيف سمع عنه قبل أيام ، أثناء رحلته هناك ، أنه اقتحم
الاحتفال بعيد الأضحى الذى أقيم فى القصر بعد أن رده أحد
موظفى البلاط . ويضيف :

"ولكنه بما عرف عنه دائما من استقلال أصر على أن من حقه
كعالم (رجل دين) وسيد (من نسل النبى) أن يتساوى بأى واحد فى
الحفل . ثم شق طريقه متقدما وسط الحاضرين حتى لفت انتباه
السلطان فدعاه الأخير اليه وجعله يقف خلف كرسي العرش ،
وأقرب اليه حتى من كبير الأغوات . وهذا فى رأى مايميزه أشد
التميز ، لأنه كان لديه نفور ديموقراطى من المظاهر الرسمية . ومع
ذلك وبالرغم من مكانته العالية ، وضع سنة ١٨٩٣ تحت المراقبة
الشديدة التى فرضها عبد الحميد على جميع ضيوفه"
ويروى زيارته له فى مقره ومعه ابنته :

"كان البيت الذى يقيم به أنيقا فخما . وكان يجلس محوطا
بأصدقائه من رجال الطبقة المتعلمة . ونهض لاستقبالنا بحفاوة
بالغة . وقبلنى على الوجنتين . وأجلس ابنتى على المقعد الرسمى
ذى المسندين . وقدم لنا شايا وقهوة . وراح يسامرنا بحديث طلى
بخليط من العربية والفرنسية اعتاد استعماله معنا . تحدث بحرية
شديدة حول جميع الأمور . وكان ضيوفه الآخرون لا يعرفون غير
التركية فيما أظن . وفى اليوم التالى رد لنا الزيارة فى الفندق الذى
نزلنا به فى (ضاحية) بيرا . وكان متحمسا جدا لأن أقابل
السلطان . وأنا اليوم نفسى على أنى لم أحظ بالفرصة ... وفى
زيارتي التالية له حدثنى كثيرا حول وضعه فى ذلك العالم الغريب ،
عالم يلدز ، حيث عاش نصف ضيف نصف سجين . وكان سعيدا
فى هذا العالم عند ذاك لأن المكانة التى تبوأها أكسبته نفوذا ولم
تكم فمه ، فقد كان دائما حر الحديث"

وأخيرا يروى بلغت ماتلا ذلك من أيام الأفغانى مماسمعه فيقول
إنه مر بأيام عصيبة بسبب دسائس الشيخ أبوالهدى (الصيادى

مبجم السلطان) الذى كان يغار منه ، حتى ان السلطان سحب منه كل الحظوة التى كانت له . ويضيف : "وليس عندى شك كثير فى انه كان على علم باغتيال الشاه (اعنى ان كلماته العنيفة قد أدت الى وقوع الاغتيال على يدى واحد من مريديه الايرانيين) لان جمال الدين كان ثوريا لايعرف المساومة" كما يضيف عن موته : "اميل الى تصديق قصة مرضه الخطير على انه نتيجة السم . فقد كان له أعداء كثيرون . وكان قد أصبح عبئا على عبدالحميد . وكانت ايامه الأخيرة محزنة على أى حال وطبقا لما رواه لى الشيخ محمد عبده فى حينه فإن سقوطه من الحظوة عند عبدالحميد ترتب عليه ابتعاد أصدقائه القدامى عنه وتجنبهم له . ووجد نفسه شيئا فشيئا وقد اعتزله زملاؤه فى المسافر خانه . ومات بين ذراعى خادم واحد مخلص ، وكان هذا الخادم مسيحيا"

فى هذه الاضافة على أى حال يبدى بلنت اعجابه بصديقه وتأثره به . بل يرثيه وكأنما يعرض اهماله لورثائه وقت موته . لخص فى رسالته الاضافية هذه علاقته بالافغانى تلخيصا لايفنى عن يومياته . بما فيه من تفاصيل بالطبع . ولكنه يوضح كثيرا من النقاط التى سبق أن دونها مفكرته وسجلها فى كتبه .

محمد عیسیٰ

الكيان الاسلامى يحتاج الى الاصلاح الدينى

عرف بلنت محمد عبده طوال مايقرب من ربع قرن . وربطت بينهما صداقة روحية تركت أثرا فى كل منهما ، وظلت موصولة حتى وفاة محمد عبده سنة ١٩٠٥ . وكان لها أثر أكبر على بلنت نفسه ، اعترف به فى أكثر من مناسبة ، لاسيما فى تقديمه لكتابه المشهور فى العربية "التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر" فلولا محمد عبده وتوجيهاته ما ظهر ذلك الكتاب على النحو الذى ظهر به فى طبعته الثانية المزيّدة والمنقحة .

يقول بلنت فى مقدمته لهذه الطبعة التى ظهرت سنة ١٩٠٧ اى بعد نحو سنتين من وفاة صديقه انه راجع الطبعة الاولى (ظهرت سنة ١٨٩٥) مع محمد عبده سنة ١٩٠٤ وكانا يلتقيان كل يوم لهذا الغرض فيتناقشان فى التاريخ القريب واحداثه (١) . ويضيف بلنت عن صديقه :

"وحول هذا الموضوع كثيرا ماحدث الى مبدىا اسفه على عدم وجود فراغ عنده يمكنه من إكمال تاريخه (لهذه الاحداث) وحين حدثته عن مذكراتى حثنى بقوة على نشرها ، اذا لم يكن بالانجليزية فبالعربية - عن طريقه - على الاقل . وتعهد بمراجعتها معنى

(١) روى محمد رشيد رضا فى «تاريخ الاستاذ الامام» (ج ١ ص ٩ - ١٠) ان بلنت شجع عبده على تدوين سيرته وتجاربته .

ومطابقة ما يتصل منها بما يعلمه على الحقيقة . وقد كنا صديقين شخصيين وحليفيين سياسيين منذ يوم زيارتي الاولى لمصر تقريبا . وكان من السهل - وحديثه تطل على حديثي - أن نعمل معا ونقارن ذكرياتنا عما عرفناه من بشر وأشياء . وبهذه الطريقة اتخذ تاريخي لحقبة لاتنسى - بالنسبة لنا - شكله النهائي . واستطعت (يالى من محظوظ !) أن أتمه وأن أحصل منه (عبده) على موافقته وتصريحه بالطبع قبل أن يموت .

وفى هذه المقدمة الرثائية لمحمد عبده وصفه بلنت بأنه "الفيلسوف والوطني الكبير" الذى مات فى ذكرى ضرب الاسكندرية (١١ يوليو ١٨٨٢) وقال "إن وفاة المفتى ضربة قاسية لى ولمصر ايضا . وقد ادت الى تأجيل خططنا لنشر الكتاب بالعربية الى أجل غير مسمى"

أهم من هذا كله أن قارئ الكتاب الذى اشتهر به بلنت يشعر شعورا قويا بعد الفراغ من قراءته بأن لمحمد عبده يدا بارزة فى تسجيل حوادث تلك الفترة الخطيرة فى تاريخ مصر التى دامت نحو سنتين (١٨٨١ - ١٨٨٢) وشهدت الثورة العربية والاحتلال الانجليزى .

يصور بلنت فى كتابه "التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر" أول لقاء له بمحمد عبده على النحو التالى :

"أجد ورقة بين أوراقى تشير الى تاريخ ٢٨ يناير ١٨٨١ . وفى ذلك اليوم صبحنى لأول مرة عالم (أزهرى)^(١) متحمس الى البيت الصغير الذى يقيم به محمد عبده فى حى الأزهر . واعد ذلك اليوم - بصفة خاصة - علامة مميزة (فى حياتى) لانه شهد مولد صداقة استمرت الآن (١٩٠٤) نحو ربع قرن لواحد من خيرة

(٢) هو الشيخ محمد خليل ، وكان قد قدمه لبلنت موظف انجليزى لتعليمه اللغة العربية سنة ١٨٨١ . ثم مات بالكوليرا بعد عامين .

الرجال وأكثرهم حكمة وطرافة ويجب الا يظن احد ان استخدامي هذه الكلمات فى وصفه يعنى انها تشكل حكما مجاملا أو مبالغا . فانى أبني حكى على معرفة شخصيته التى اكتسبتها فى ظروف شتى وفى مناسبات شديدة الصعوبة والقسوة ، كعلم دينى أولا ثم كزعيم لحركة اصلاح اجتماعى ومثقف على رأس ثورة سياسية ، ثم كسجين فى ايدى اعدائه ، ومنفى فى اراض اجنبية عدة . وبعدها عرفته حين وضع طوال سنوات تحت مراقبة الشرطة فى القاهرة عندما انتهت مدة نفيه ، ثم حين أسس لنفسه فى بلده نفوذا بفضل رجاحة عقله وشخصيته المعنوية واستأنف محاضراته فى الأزهر . وعين قاضيا فى محكمة الاستئناف ، وأخيرا حين عين مفتيا للديار المصرية فى هذه الايام . وهو اعلى منصب قضائى ودينى فى مصر (الصواب ان منصب المفتى يلى منصب شيخ الأزهر) "لقد كان الشيخ محمد عبده ، حين رأيته أول مرة عام ١٨٨١ ، رجلا فى نحو الخامسة والثلاثين ، متوسط الطول ، اسمر . نشيطا فى مشيته ، تعكس عيناه النفاذتان حدة ذكاء ، وكان صريحا بطبعه ، ودودا ، يوحى بالثقة الفورية . يبدو فى ملبسه شرقيا خالصا ، يرتدى عمامة بيضاء وجبة غامقة اللون كالتى يرتديها شيوخ الأزهر ، ولايعرف - حتى ذلك الوقت - اى لغة اوروبية ، او لايعرف فى الحقيقة سوى لغته . وبمساعدة محمد خليل الذى كان يعرف قليلا من الفرنسية ويعاوننى فى عربيتى غير الكافية ناقشت معه (محمد عبده) معظم المسائل التى سبق ان ناقشتها مع تلميذه (خليل) ومن الاثنين اكتسبت قبل مغادرتى القاهرة (١٨٨١) معرفة واسعة بأراء مدرسة الفكر الاسلامى الحر التى يتبعانها ومخاوفهما من الحاضر وامالهما فى المستقبل . وقد سجلت هذا كله بعد ذلك فى كتاب نشرته فى اواخر تلك السنة بعنوان "مستقبل الاسلام" واكد الشيخ محمد عبده على نقطة ان ما يحتاجه الكيان السياسى الاسلامى ليس مجرد الاصلاحات وانما الاصلاح الدينى الصحيح . وفيما يتعز بمسألة الخلافة اتفق رايه

فى ذلك الوقت مع رأى معظم المسلمين المستنيرين فى ضرورة إعادة اقامتها على اساس روحى اكبر . وشرح لى كيف ان الممارسة الشرعية لسلطة الخلافة تتيح حافزا للتقدم الثقافى . وان قليلين ممن حملوا لقب " الخليفة " على مدى قرون هم الذين يستحقون القيادة الروحية للمؤمنين . فبيت آل عثمان لم يعن بالدين طوال مائتى سنة ولم يعد يطالب بأى ولاء خارج حق السيف . وقد كانوا ولايزالون اقوى امراء المسلمين واقدرهم على خدمة الصالح العام ، ولكن ما لم يتحمسوا لآخذ وضعهم بجدية فسوف يسعى الناس شرعا الى امير مؤمنين جديد . ولاشك ان الامر يتطلب اساسا سياسيا جديدا على وجه الاستعجال من اجل الحاجات الروحية للمسلمين . وفى هذا كله كانت ثمة نغمة معتدلة فى تعبيره عن آرائه المقنعة للغاية بما تحمله من حكمة عملية "

فى ذلك العام (١٨٨١) وجد بلنت نفسه فى خضم الحركة الوطنية المصرية . فقد تفاقمت اوضاع مصر الاقتصادية فى أواخر عهد الخديو اسماعيل . ولم يستطع الخديو توفيق ان يصلح ما افسده أبوه بإسرافه واستبداده ، حين خلفه فى حكم البلاد سنة ١٨٧٩ . واصبح من الواضح للمراقب الخارجى مثل بلنت ان يتنبأ بنشوب ثورة فى البلاد . او سقوطها فريسة للسيطرة الاجنبية والاحتلال . وقد توالى النبوءتان واحدة بعد الاخرى . ولكن الثورة نفسها تدرجت من حركة تطالب بالإصلاح الى مقاومة عسكرية للتهديد والاحتلال الانجليزيين . ولما تصاعدت الاحداث مع بداية ذلك العام برزت الى السطح أسماء كثيرين من الضباط والمتقنين . وكان على رأس هؤلاء أحمد عرابى والبارودى وعبد الله النديم ومحمد عبده . وقد سعى بلنت الى لقاء عرابى الذى تجمعت فى يديه كثير من خيوط الحركة الوطنية فى ذلك الوقت . وتم ذلك - لأول مرة - فى ١٢ ديسمبر ١٨٨١ .

وقد استمع بلنت الى عرابى طويلا فى هذا اللقاء . وخرج من عنده متأثرا بحواره معه حول استقلال مصر الادارى عن الدولة

العلية (العثمانية) مع الاعتراف بالسلطان خليفة للمسلمين ، وتأييد الحزب الوطنى للخدو مع الالحاح على حكم الشورى وحرية التعبير ، والسعى نحو تخليص مصر من ديونها وسيطرة الاجانب مع مساواة الاجنبى والوطنى فى الحقوق والواجبات ، وسياسة الحزب العلمانية تجاد أصحاب الاديان الاخرى غير الاسلام وقد ذكر بلفت أنه ذهب بعد لقاء عرابى الى صديقه محمد عبده ، واقترح عليه تسجيل الآراء التى سمعها من عرابى واعادها فى صورة برنامج اوبمان لعرضه على الحكومة الانجليزية . ثم عرض الفكرة على القنصل الانجليزى ادوارد ماليت فوافق عليها . يقول بلفت :

« وبناء على ذلك قمت بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده وآخرين من الزعماء المدنيين بإعداد بيان أمليناه على صابونجى (سكرتير بلفت) وضمنناه موجزا لأفكار الحزب الوطنى . ثم اخذه محمد عبده الى محمود باشا سامى الذى عين وزيرا للحربية مرة اخرى وحصل منه على موافقته على البيان ، كما عرض على عرابى ووافق عليه . » أطلق على هذا البيان إسم « برنامج الحزب الوطنى » وقام صابونجى بترجمته الى الانجليزية ونقح بلفت الترجمة ثم أرسله الى جلاستون رئيس الوزراء ، وأرسل نسخة منه الى تشينرى رئيس تحرير صحيفة « التايمز » الذى نشره فى حينه . ولكن دور محمد عبده هنا لايتجاوز الاشتراك فى الصياغة وربما اقتراح بعض الأفكار . ولاينكز أن ينسب البيان له كما فعل الدكتور محمد عمارة فى الجزء الأول من . الأعمال الكاملة لمحمد عبده « وقد كان البيان يؤكد على ضرورة وجود دستور للحكم فى مصر ، حتى تستتب امورها وتستقيم نهضتها . وعبر محمد عبده عن رايه وزملائه من المعتدلين فى الدستور فقال لبلفت :

”لقد انتظرنا السنين من أجل أن تتحقق حريتنا . وهذا كفىل بأن ننتظر بضعة اشهر اخرى“

.. ومنذ البداية مال بلنت الى آراء محمد عبده . وكان يسجلها أولا بأول ، ويوحى للقارىء بأنه لا يختلف معها كثيرا ان لم يكن يؤيدها . بل انه اقتنع تماما فى ذلك العام بقضية الاصلاح الفورى لأمور الاقتصاد المتدهور والديون الأجنبية وسيطرة انجلترا وفرنسا على مالية البلاد والحكم الاستبدادى . وأصبح يدافع عن عرابى وزملائه من أنصار الحزب الوطنى . وحاول أكثر من مرة أن يتدخل فى بعض الأزمات التى نشبت بين الوطنيين والمراقبين الماليين الانجليزى والفرنسى . وكان محمد عبده مصدره الأساسى فيما يتعلق بالجانب الوطنى ومرجعه فيما يتعلق بفهم الأحداث وتطوراتها .

حدثت أول أزمة بين الأعيان الوطنيين ، أعضاء مجلس شورى القوانين ، وبين المراقبين الانجليزى والفرنسى للمالية المصرية . وكان سبب الأزمة مطالبة أعضاء المجلس بإخضاع نصف الميزانية السنوية للبرلمان وترك التصرف فى النصف الباقى للمراقبة المالية . ومن الواضح أن هذه المطالبة جاءت تعبيراً عن الرغبة الطاغية فى الشعور بالاستقلال وحرية الإرادة . ولكن المراقبين الأوربيين لم يرضوا عن تقلص سلطاتهما ، وحاولوا أن يوسطا بلنت الذى كان على علاقة بالمراقب الانجليزى كولفين . وحاول بلنت بدوره أن يخفف حدة التوتر بين الجانبين فلجأ الى صديقه محمد عبده يطلب مشورته .

وكتب بلنت عن ذلك :

"بعد التشاور مع الشيخ محمد عبده ، الذى كان كعادته فى صف التروى والتراضى ، رتب لى الالتقاء فى بيته بوفد منهم لمناقشة القضية معهم حتى أبين لهم العواقب المحتملة لمقاومتهم - أعنى التدخل المسلح "

ولكن هذا اللقاء لم يقض الى نتيجة مثمرة ، وان كان بلنت نفسه تفهم موقف الأعيان وأيدهم فيه . وكان القنصل الانجليزى ادوارد ماليت قد أفهم بلنت أن الميزانية المصرية مسألة دولية لا حق لرئيس الوزراء المصرى (محمد شريف فى ذلك الوقت ولا للبرلمان

فى المساس بها دون الحصول على موافقة حكومتى الدولتين اللتين
وكلت اليهما مهمة مراقبة المالية والخزانة المصرية ، وهما انجلترا
وفرنسا . ويضيف بلنت عن لقائه السابق :
" على هذا الأساس (استقلال الميزانية) وبمساعدة صابونجى
ومحمد عبده ناقشت القضية معهم بشكل شامل . واقتنعت بأن
تنازلهم أمر غير ممكن ولكنهم وافقوا بالفعل على تعديل المواد
الثلاث أو الأربع التى اعترض عليها المراقبان أساسا مثل منح
المجلس سلطات "المؤتمر" وقاموا بإدخال التعديلات التى
اقترحتها فى اللائحة المنشورة بعد ذلك . ولكنهم تمسكوا برأيهم
فيما يتعلق بمادة الميزانية وجوهرها بالرغم من تأييد الشيخ محمد
عبده لى "

وهكذا عاد بلنت من مهمته الصعبة هذه بخفى حنين . فقد كان
التيار الثورى فى الحركة الوطنية أكثر حسما وعنادا من التيار
المعتدل الذى مثله محمد عبده وبعض الأزهريين الآخرين .
فى ٢١ يناير ١٨٨١ ، أى بعد أيام من محاولة بلنت التوسط
هذه ، ذهب لمقابلة كولفين المراقب الانجليزى . وكان كولفين - كما
ذكر بلنت - من طراز الموظفين الانجليز الذين تربوا فى الهند
ونشأوا على كراهية الشرقيين . ويسجل بلنت فى ذلك اليوم :
"كنت فى مرحلة مبكرة من مراحل القضية قد صحبت الشيخ
محمد عبده لمقابلته ، ظنا منى أن أحقق بعض التفاهم بين
الطرفين . وحاولت أن أفعل ذلك مع الضباط . ولكن سلوك كولفين
أثار الشيخ . وكان الضباط يدخلون من الذهاب معى إليه فقد كان
فى بعض الأحيان يتكلم بطريقة فجأة ووقحة "

لقد كان كولفين - كما يرى بلنت - مقتنعا بأن انجلترا لن تغادر
مصر أو تتخلى عن مكانها فيها . وكان من رأيه تحطيم الحزب
الوطنى بأى ثمن . ولم يكن يدارى هذه الآراء حتى أن بلنت حذر
أصدقاءه المصريين منه . بل انه أبدى ندمه على تحديه حين قال
له : " اتحداك أن تحقق تدخل الانجليز فى مصر أو سيطرتهم
عليها " فقد ندم بلنت على ذلك التحدى لرجل أحقق متهور . وقال :

"انى نادى على ذلك لأنى أعتقد أن التحدى أضاف دافعا شخصيا وسياسيا الى تصرفه التالى" ويقصد بذلك التصرف ايعاز كولفين لحكومته ودفعها الى احتلال مصر .

ولم يبق بلمت طويلا فى مصر فى ذلك العام على اى حال . فقد عاد الى انجلترا فى أواخر شتاء ١٨٨١ وراح يتابع قضية مصر من هناك . وأرسل سكرتيره صابونجى ليتابع الأمر على الطبيعة فى القاهرة والاسكندرية . وقابل فى لندن الجنرال ولسلى قائد حملة الاحتلال فى ١٥ يناير ١٨٨٢ وعرف منه بعض الخطوات القادمة . وأرسل الى محمد عبده خطابا يحذره وغيره من أفراد المعسكر الوطنى من احتمال هجوم الانجليز على مصر فى حالة التدخل المسلح من ناحية الاسماعيلية . وفى ١٩ يناير كتب اليه صابونجى من القاهرة قائلا ان "محمد عبده قرر جمع كل الوثائق التى بحوزته مع غيرها مما يتعلق بالمسائل المصرية للسفر بها الى انجلترا وعرضها على المستر جلاستون والبرلمان الانجليزى"

فى ١٤ مايو ١٨٨٢ ، أى قبل ضرب الاسكندرية بنحو شهرين ، تلقى بلنت تلغرافاً بالفرنسية من محمد عبده ، ولكنه عد صيغة التلغراف محيرة ، وهذا نصها :

"لايوجد خلاف بين سلطان باشا والبرلمان . الذئب (يقصد الخديو المعزول اسماعيل) الذى زعمت اشتراكه فى المؤامرة الشركية فى خطاى لصابونجى هو فى الحقيقة شريك فى الجريمة هناك خلاف أساسى متباين بين أعضاء البرلمان . الأمن العام لا يهدده خطر ."

هذه هى جميع الفقرات التى جاءت فى متن كتاب بلنت عن الثورة العربية والاحتلال الانجليزى فيما يتعلق بمحمد عبده . ومنها نتبين أن محمد عبده كان مساهما بدور بارز فى الحركة العربية ومقربا من قادتها ولاسيما عرابى والبارودى . ومع ذلك كان يميل فى آرائه الى الاعتدال والتواضع والتروى كما أشار بلنت بحق . وكان فى الوقت نفسه المصور الأساسى لبلنت فيما يتعلق

بالمعسكر الوطنى الذى صعد عرابى الى قمته بعد استقالة وزارة شريف باشا فى فبراير ١٨٨٢ ، وتولى البارودى الوزارة . بل كان أيضا مصححا لكثير من المعلومات التى استقاها بلنت أو كتبها عن تلك الفترة العصبية التى سبقت احتلال الانجليز لمصر وشهدت هزيمة الحركة الوطنية بعدها .

ومن أهم التصحيحات التى قام بها محمد عبده فى كتاب بلنت ما ذكره حول تفكير عرابى ورجال الجيش فى التخلص من الخديو اسماعيل قبل عزله . فقد قال :

” أما بالنسبة لما يقوله عرابى حول اقتراحه فى ذلك الوقت بخلع اسماعيل فلا شك أنه كان بُمة حديث يدور سرا حول هذا الموضوع . وكان الشيخ جمال الدين (الافغانى) يؤيده . وقد اقترح على ضرورة أن اغتال اسماعيل ذات يوم عند مرور عربته على كوبرى قصر النيل . ووافقت على ذلك بحرارة ، ولكن الأمر لم يتجاوز الحديث بيننا . فقد كان ينقصنا شخص قادر على المبادرة فى الموضوع . ولو كنا نعرف عرابى فى ذلك الوقت لنظمنا معه الأمر ، ولكن ذلك أفضل شئ لأنه كان سيمنع تدخل أوربا . ومع ذلك لم يكن من الممكن أن تؤسس جمهورية بسبب ما كان سائدا وقتذاك فى أوساط الشعب من جهل سياسى ”

من أهم التصحيحات أيضا ما أثبتته بلنت - نقلا عن محمد عبده - حول مؤامرة الضباط الشراكسة ودور الخديو اسماعيل فيها . وكان بلنت قد علم من ابراهيم المويلحى أن اسماعيل دبر هذه المؤامرة من منفاه فى نابولى ، زمن العرابيين ، عن طريق أعوانه فى مصر وعلى رأسهم راتب باشا عدو الوطنيين وكان هدف المؤامرة اغتيال عرابى وزملائه ثم استقدام الخديو اسماعيل والمناداة به خديويا على مصر . وقد ذكر مجمل عبده لبلنت فى رسالة له فى ٢٥ ابريل ١٨٨٢ أن المتآمرين قبض عليهم وتم سجنهم كما ذكر له فى رسائل أخرى الكثير من الوقائع المتعلقة بما سمى « حوادث الشغب » فى الاسكندرية عند نزول الانجليز

والمذبحة التي دارت هناك فضلا عن ملاحظاته حول أحداث المقاومة الوطنية للانجليز حتى سقوط مدينة النل الكبير وهزيمة الجيش والقبض على عرابى . وكان مما ذكره أن الخديو توفيق أمر خصيانه بالذهاب الى السجن الذى أودع فيه عرابى وزملاؤه ، وإهانة زعماء الثورة بالسب والبصق فى وجوههم . بل ان بلنت أورد فى كتابيه عن الاحتلال الانجليزى لمصر ومشكلة جوردون فى الخرطوم الكثير من النصوص لبيانات أو خطابات تلقاها من محمد عبده أثناء الثورة العرابية وفترة نفيه بعد ذلك .

وهذه كلها مؤشرات الى الدور الذى لعبه محمد عبده خلال تلك الفترة التى تلت نفى أستاذة الأفغانى فى ٢٤ أغسطس ١٨٧٩ حتى نفيه هو فى ٢٤ ديسمبر ١٨٨٢ ، وكذلك تشير الى الدور الآخر الذى لعبه فى تدوين أحداث تلك الفترة على يدى صديقه بلنت . فلولا محمد عبده ماخرجت مدونة بلنت على تلك الصورة التى خرجت بها ، ولاسيما فى كتابه عن الاحتلال الانجليزى لمصر مما سجله هو نفسه فى مقدمته الرثائية السابقة .

فى المنفى من الشام الى أوربا بين الصحافة والسياسة

إحتل الانجليز مصر فى ١١ يوليو ١٨٨٢ . وفشلت مقاومة عرابى وقواته بعد نجاح الانجليز فى التسلل الى صفوفه بالرشوة والاغراء . وانتهى كل شىء - بعد نحو ستة أشهر - بنفى قادة الثورة ومتقفيها ، ومنهم محمد عبده الذى حكم عليه فى ٢٤ ديسمبر ١٨٨٢ بالنفى ثلاث سنوات . وقد رحل الى بيروت مع عشرات من الوطنيين المنفيين . ومن هناك ظل على صلة ببلنت عن طريق المراسلة . وقد نشر بلنت فى ملاحق كتابه " جوردون فى الخرطوم " ترجمة لرسالة تلقاها منه بالعربية فى ٥ أغسطس ١٨٨٢ حول أحداث الاسكندرية وطنطا اثناء نزول الانجليز . وكانت الرسالة تتضمن إسمين لشخصين حضرا تلك الأحداث وأبديا رغبتهما - فى المنفى - لمحمد عبده فى الادلاء بمعلوماتهما ضد الخديو توفيق واعوانه . وكان بلنت يجمع فى ذلك الوقت شهادات ومعلومات حول الاحتلال الانجليزى ودور الخديو فيه للاستفادة بها فى تأليب الراى العام الانجليزى على حكومته وسياستها .

غير أن محمد عبده لم يبق طويلا فى بيروت . فقد استدعاه استاذاه الأفغانى فى يناير ١٨٨٤ الى باريس لاصدار « العروة الوثقى » ومن باريس سهل اتصاله بصديقه بلنت ، وكان بلنت قد عاد فى ذلك الوقت من رحلة إلى الهند زار خلالها عرابى وزملائه

المنفيين فى جزيرة سيلان . وفى طريقه إلى لندن توقف قليلا فى باريس وكتب عن ذلك فى كتابه « جوردون فى الخرطوم » فقال : « وفى باريس قضينا بضع ساعات فى صحبة أصدقائنا اللاجئين : الشيخ عبده والسيد جمال الدين وجيمس (يعقوب) صنوع . أما الأول فلم أكن قد رأيته منذ الحرب (فى مصر) لأنه قضى السنة الأولى من منفاه فى دمشق (الصواب فى بيروت) حيث احتفى به أبناء عبد القادر (الأمير الجزائرى المنفى) وعاش حياة ضنك ، ولكن فى أمان ، مع عدد كبير من الوطنيين المصريين المنفيين . وجدناه قد تأورب إلى حد ما بعد شهرين من الإقامة فى باريس . فقد أهمل حلق رأسه وارتدى طربوش بدل العمامة مما قلل من مهابته كشيخ ، مع أنه كان لا يزال يرتدى عباءة محترمة من الفراء . وهو يتكلم الآن بصراحة ضد السلطان والأتراك . ويشكو من الاستبداد فى سوريا (الشام) ولا يرى أن الشريف عون (أمير مكة) سيكون الخليفة القادم . ويقول إن المهدي هو المقدمة للخليفة العربى ، وسرعان ما سيصبح الخليفة .

« ورويت له ولجمال الدين كل ما فعلته فى الهند ، وأطلعتهما على فكرتى فى الذهاب الى القسطنطينية ، ولكنهما حذرانى من عدم جدواها ، وقالوا أننى إذا حاولت الذهاب فهما لا يتوقعان منه خيرا ، فالسلطة كلها هناك فى يد عثمان باشا (رئيس الوزراء أو الصدر الأعظم) الذى لا يهمل إلا أن يملأ كيسه بالمال . أما سوريا (الشام) فتموج بأفكار الحرية برغم طغيان الجواسيس والشرطة . ولا يمكن عمل شئ فى القسطنطينية . ثم تحدثنا عن المهدي الذى أصبح الآن الموضوع الرئيسى لاهتمام المسلمين وكذلك عن جوردون الذى ذهب الى الخرطوم . ووافق جمال الدين على الخطاب الذى كتبته لجوردون . وقال إنه مقضى عليه مادام يتخذ الجانب الخاطيء .

وينقل بلنت بعد ذلك ماجاء فى يومياته حول زيارته لمقر صحيفة « العروة الوثقى » مما نقلناه عن الحديث عن علاقته بالافغانى . وقد تمت هذه الزيارة فى ٢٧ مارس ١٨٨٣ وغادر بعدها

باريس عائداً إلى لندن . وفي ٨ أبريل ، أى بعد أقل من أسبوعين سجل فى يومياته أنه كتب خطاباً لمحمد عبده أوضح فيه آراءه حول الهند ومسلميها . وفي هذا الخطاب المطول المؤرخ فى ٧ أبريل أشار بلنت الى أنه كتب ردًا على خطاب تلقاه من محمد عبده اعتذر فيه من عدم تمكنه من الحضور الى لندن ومعنى ذلك أن بلنت - فيما يبدو - قد دعا عبده الى الحضور وقت مروره بباريس للتشاور مع المسؤولين الانجليز حول قضية مصر بعد الاحتلال .

استهل بلنت خطابه بقوله :

« إلى صديقى العزيز النبيل العالم محمد عبده ، شهيد الحرية ، أدام الله علمه . أسعدنى كثيراً خطابك ، الذى فرغت حرماً الآن من ترجمته لى كاملاً ، فيما عدا مذكرته من أنك لاتستطيع الحضور الى انجلترا بعد . ولكنى أرسل لك مع هذا ما تحتاجه فى رحلتك من مال راجيا أن تفيدنى بوصوله . وقد كتبت منذ اربعة أيام الى السيد صنوع ورويت له شيئاً عن حالة الراى هنا . ثم كتبت بعدها رسالة ستتنشر فى صحيفة « التايمز » غداً أو يوم الأربعاء واقترحت فيها حلاً للمصاعب والعقبات الراهنة فى مصر . وأرجو أن يتفق ذلك مع رأيك ، لأنى اقترح فيها أن تعرض المسألة المصرية على مؤتمر أوروبى ، وأن ينسحب الجيش الانجليزى من البلاد ، وأن توضع مصر تحت الحماية المشتركة من جانب الدول الكبرى ، وبذلك تحكم نفسها وفق إرادتها . واقترح أيضاً أن يعقد الصلح مع المهدي ، وأن يستدعى الجنرال جوردون من الخرطوم . ولم أنس أن أوصى بإلغاء مراسيم النفى للوطنيين المصريين . أما فيما يتعلق بمصر وسوريا والخلافة العربية فأنت سيد من يعرف أرأى حولها لأنها منشورة بالكتاب الذى ألفته منذ ثلاث سنوات وأقمته على توجيهاتك وأرائك المفيدة » (١)

(١) يقصد كتابه « مستقبل الاسلام » الذى ظهر سنة ١٨٨١

ثم سجل بلنت فى خطابه آراءه وأفكاره حول مسلمى الهند بناء على ماراه وسمعه خلال زيارته . وتتلخص هذه الآراء فى أنه يجب أن يخطط المسلمون فى الهند من أجل التربية السياسية دون انعزال عن بقية الهنود ، وأن يؤسسوا جامعة للنهوض بالتعليم حتى يعزّزوا وحدتهم ، وأن يقبلوا على تعلم اللغة الانجليزية حتى يزدادوا اهتماما بالشئون العامة .

ويبدو أن محمد عبده كان قد طلب فى خطابه السابق معاونة بلنت فى إصدار صحيفة « العروة الوثقى » التى لم يكن قد مضى على صدورها شهر واحد . فقد قال بلنت فى رسالته هذه : « أما فيما يتعلق بصحيفتكم فيسعدنى أن أبذل كل مايسعى لمعاونتكم ولكنى أنصحكم بكل قواى أن تلتزموا الاعتدال فى لغتكم حين تكتبون عن الحكومة الانجليزية - لایمعنى أن أى شيء تقولونه حول تصرفاتها فى مصر يمكن أن يتجاوز غضبى ونفاد صبرى - وإنما لأنى أرى فى صداقة انجلترا خير أمل للمسلمين . وصدقنى أنه بالرغم من سلوك انجلترا خلال هذا الموضوع كله مسلك عدو الدين فمازال بين الانجليز من يتعاطفون مع آمالنا لأمم الشرق » ومع ذلك لم يعمل الأفغانى ولا محمد عبده بنصيحة صديقهما فى التزام الاعتدال فى الحديث عن الحكومة الانجليزية . فقد استمرت « العروة الوثقى » فى كشف خبايا السياسة الانجليزية ، ولا سيما فى مصر ، حتى أمرت الحكومة المصرية بمنعها من دخول مصر . كما أمرت حكومة الهند بمنعها أيضا من الدخول هناك .

ومع ذلك أيضا رد محمد عبده على هذا الخطاب بخطاب من باريس مؤرخ فى ١١ ابريل ١٨٨٤ ، أى بعد أربعة أيام فقط من تاريخ كتابة الأول . ويبدو أن البريد فى ذلك الوقت كان اسرع بكثير مما هو عليه الآن فى عصر الطائرات وقد شكر عبده صديقه على نصائحه وقال إن الأفغانى سيكتب إلى أصدقائه فى الهند بما أشار به بلنت . ثم قال :

« أما بعد ، فقد اغتبطنا للنصيحة التي تكرمت بها علينا ووعدك بمساعدة صحيفتنا « العروة الوثقى » وقد كان هذا أملنا فيك . وما من شك في أن الله عز وجل قد خلقك لفعل الخير ومساعدة قضية الحق والدفاع عن المظلومين . وهذا هو الوجه الحقيقي لصحيفتنا ، فضلا عن خدمة تلك الأفكار التي تشقى من أجلها ، أعني الحفاظ على استقلال الأمم الشرقية ونصح الحكومة الانجليزية حتى تتخلى عن مسلكها الذي يشقى عقول المسلمين ، وتسرع بمد يد الصداقة إليهم ، وبذلك تضمن وقوفهم في صفها » وفي ١٥ ابريل سجل بلنت في يومياته أن محمد عبده وصنوع كتب اليه وأبدى إعجابهما بمقاله الذي نشره في صحيفة « التايمز » في ١٠ ابريل . وفيه اقترح على حكومة بلاده تسوية جديدة للمسألة المصرية تقوم على أساس الجلاء وإعادة المنفيين والصلح مع المهدي .

ويبدو في تلك الأثناء أن محمد عبده غير رأيه وقرر القيام برحلته الى لندن بعد أن أرسل اليه بلنت نفقات السفر . ولكنه آخر رحلته نحو ثلاثة أشهر . وكانت هذه أول زيارة يقوم بها إلى لندن . ولكنها لم تكن زيارة نزهة بمقدار ماكانت زيارة عمل ، شاهد خلالها الكثير من المعالم وقابل الكثير أيضا من الشخصيات وبدأت يوميات بلنت في ترديد اسمه وتحركاته من خلال مضيفه الذي استضافه في بيته بلندن ، وهو نفسه البيت رقم ١٠ شارع جيمس ، أو « جيمس ستريت » كما كان يختصره بلنت ، حيث استضاف الأفغانى بعد ذلك . يروى يوميات بلنت تفاصيل هذه الزيارة في كتابه « جوردون في الخرطوم » يقول :

٢١ يوليو ١٨٨٤

وصل محمد عبده الآن من باريس . تغيرت أراؤه منذ رأيناه آخر مرة . فالشعور السائد عنده الآن هو كراهية انجلترا التي اتحدت مع كراهية الشراكسة ، إنها الحكاية القديمة تعيد نفسها . فعندما

تضغط أوروبا وتهدد يقوم المصريون بتوحيد صفوفهم تماما مثلما فعلوا عند صدور المذكرة الثنائية (التي وجهتها إنجلترا وفرنسا لمصر سنة ١٨٨١ وساندتا فيها الخديو ضد الوطنيين) والانداز (الذي وجهه قائد الأسطول الانجليزي إلى عرابى سنة ١٨٨٢ قبيل الاحتلال) ومع ذلك فهو (عبده) لم يتخل عن عرابى ، مع أنه يرى أن دوره قد انتهى فى مصر كشخصية سياسية . وهذا صحيح فى الغالب .

٢٢ يوليو

ذهبت مع محمد عبده الى مجلس العموم . لم نجد لابوشير (عضو المجلس وصديق بلنت) ولكننا وجدنا جورج هوارد (عضو آخر صديق لبلنت) الذى صحبنا فى جولة داخل المبنى . وكنت قد طلبت من عبده أن يرتدى جبته الزرقاء وعمامته البيضاء مما أشاع فى بهو المجلس جوا لطيفا ، وتقدم نحونا مباشرة تشيسون (عضو آخر) فدعانا إلى عشاء يقام بالمجلس فى الأسبوع القادم للهنود وسواهم من الشرقيين . وأصر المصور على التقاط صورة للشيوخ ، وقمت بتقديمه لعدد من النواب . واستمعنا إلى نائب أيرلندى ، أظنه سكستون ، راح يندد بأخطاء أيرلندا . ومن الشرفه المظلة على النهر (التيمز) أرينا عبده قارب الشرطة الذى يروح ويجىء على الماء لمنع محاولات تفجير الديناميت (لحساب الوطنيين الأيرلنديين) وهو مشهد أضيف الى معلوماته . ثم وجهنا نظرة نحو المستر برايت (نائب آخر) الذى انخرط على مقعده فى حديث مع ناثانيل روتشيلد (النائب اليهودى الوحيد وعميد أسرته وطائفته فى لندن)

وفى أقصى القاعة لمحت بارنل (النائب الأيرلندى المعارض) يتمشى جيئة وذهابا وحيدا مكتئبا ، فطلبت من جورج هوارد أن يقدمنا إليه . وكان الرجل جذابا وعطوفا فى الحقيقة ، معنا على الأقل بصفتنا رفاقا على طريق التمرد . وقد طلب من عبده أن يزوره

وأن يزوده بالمعلومات (عن مصر والسودان) وقال : « عندنا واحد من زملائنا في مصر الآن وهو المستر أوكيلي (نائب أيرلندي معارض آخر كان يرأسل صحيفة الديلي نيوز وقتها في دنقله) ولكننا نخشى أن تطول غيبته » فقلت له أن عبده وجمال الدين هما اللذان كتباً له الخطابات التي مكنته من الذهاب الى المهدي . وعندئذ بدت على وجهه علامات الدهشة من معرفتي لهذا الموضوع . غير أن اكتتاب بارنل وتحفظه ليسا من طبعه فعيناه تتألقان وشفتاه تكتسيان بابتسامة من وقت الى آخر مما يكشف عن طبيعته الحقيقية . ولا شك أنه رجل فاضل ، وأنا متأكد من أنني أستطيع التفاهم والتعاون معه جيداً . وعندما حان وقت انصرافه تغير مزاجه ، وأصبح متحمساً ، وألقى علينا كلمة قصيرة قائلاً أنه تشرف بمعرفة الوطني المصري ، وأكد أنه سعد كثيراً بمعرفتي . ووعدني بأن يكتب لي ويحدد يوماً لرؤية الشيخ .

٢٣ يوليو

جاء على الافطار ميرزا باقر ، وهو صوفي إيراني (يعيش منفياً في لندن) وصحبنا أنا وعبده بعد ذلك الى بيت السير ويلفرد لوصن (عضو البرلمان) ولكن الزيارة لم تحقق النجاح الذي كنت أرجوه . فقد وجه لوصن . استألفته الى عبده بطريقة جافة أكثر من اللازم مما أفزعه بعض الشيء ، فلم يستطع أن يعبر عما في نفسه بوضوح على أي حال فيما عدا النقطة الخاصة بوجوب انسحاب القوات الانجليزية كخطوة أولى لاعادة تحقيق السلام في مصر ، وحين ذهبنا بعد ذلك الى لابوشير (نائب آخر) دار الحديث في مجمله على هذا النحو . وحاول لابوشير أن يقنع عبده بأن المستر جلاستون (رئيس الوزراء يريد إجلاء القوات (الانجليزية) عن مصر ، وأن خير طريقة للجلاء هي أن يمتنع المصريون عن دفع أي ضرائب طوال وجود هذه القوات . ولكن عبده اعترض على ذلك ومعه حق الى حد ما ، قائلاً إن المستر جلاستون لم يكف عن

الحديث حول الجلاء فى الوقت الذى ظل يرسل فيه قوات أكبر ويملا البلاد بالموظفين الانجليز . وشكا من أن الامتناع عن دفع الضرائب سيفسر بأنه مبرر للسيطرة . وعبثا حاول لابوشير اقناعه بأن هذا غير صحيح . ولم يستطع لوصلن ولا لابوشير أن يوحيا لعبده بأى إحساس ينم عن إخلاصهما . ويرجع ذلك الى انهما لايجيدان الحديث مع الشرقيين ، فطريقتهما الجافة تبدو كأنها عداء .

وقد تناولت طعام العشاء فى البيت مع عبده وباقر اللذين انخرطا فى مناقشة طويلة حول سماح تقاليد السنة بالحديث على الطعام ، وهى نقطة توصلا الى حلها بشكل ودى ، وكذلك حول القرآن وهل كان فى الاصل كتابا كاملا أم تجميعا لآيات شفوية وأبدى عبده تسكه بالرأى الأخير ، وأنا أوافق على هذا تماما ، ولكن ميرزا العجوز أصر على أنه كتاب معجزة ، نزل كاملا غير مجزأ . وهذا أمر غريب اذا علمنا أنه (ميرزا) يتميز بالتححرر الشديد فيما يتعلق بمعظم الامور .

٢٤ يوليو

ذهينا الى تشرشل (العضو البارز فى البرلمان فى ذلك العام قبل توليه وزارة شئون الهند) ودار بيننا وبينه حديث مرض الى حد كبير إذا قورن بحديثنا أمس مع لوصلن ولابوشير . وكان أسلوب تشرشل موفقا تماما حتى أن عبده خرج فى غاية السرور وقال : « إن هذا الشاب أحكم من الآخرين - لوصلن ولابوشير - وأرق قلبا » ونظرا لأننى سأسجل هذا الحديث كله وأعدّه للنشر فى صحيفة « بال مال » فلن أكرره هنا . وقد وعد تشرشل بذكر عبده عند تشمبرلين (عضو البرلمان ووزير التجارة) وتوسطه فى ترتيب لقاء لعبده مع جلادستون . وأنا واثق من إمكان التوصل الى تسوية إذا تم هذا اللقاء .

٢٨ يوليو

دار حديث بينى وبين عبده . ذكر لى أسماء الاشخاص الثلاثة الذين اشتراهم سلطان باشا وخانوا الجيش فى (معركة) التل الكبير ، وهم : على يوسف التركى الذى كان يقود كتيبة وسط ثلاث ، وانسحب ليسمح لولسلى بالتقدم ، وعبد الرحمن حسن المصرى الذى كان يقود طلائع الخيالة وأهمل إنذار القوات حول تقدم الانجليز . وراغب ناشد العقيد الشركسى الذى كان يحتل موقعا متقدما . فهؤلاء هم الخونة الوحيدون . أما (عبد الله) النديم فقد فر الى السودان (الصواب أنه فر إلى الريف المصرى واختفى فيه) وأما على فهمى (زميل عرابى) فقد هزم فى (موقعة) القصاصين لأن محمود سامى (البارودى) عجز عن الوصول اليه فى موعده . ويضيف عبده أنه إذا أعيد تشكيل حكومة وطنية فيجب تعيين على فهمى وزيرا للحربية ، ويعقوب سامى وزيرا للداخلية ، وعرابى رئيسا للبرلمان وعبد العال (حلمى) قائدا للجيش .

عينت ميرزا باقر سكرتيرا لى لقاء جنية واحد فى الأسبوع . ذهبت الى تشرشل ووجدته طريح الفراش ... وكان قد شغل نفسه بعبده . وسوف يصحبه غدا لمقابلة هارتنجتون (وزير شئون الهند)^(١)

٢٩ يوليو

ذهبت مع عبده وباقر الى فندق كارلتون حيث قابلنا تشرشل وسلمتهما له ، فصحبهما لمقابلة هارتنجتون . وعادا فى غاية السرور فقد أبدى لهما هارتنجتون قدرا كبيرا من التهذيب والذكاء . ويعتقد عبده أنه ترك فى نفسه انطباعا طيبا .

(١) عندما عاد محمد عبده إلى باريس نشر ملخصا لهذه المقابلة فى « العروة الوثقى » ولكنه ذكر - خطأ - أنه وزير الحربية .

سجلت حوارا مع عبده للنشر في صحيفة « بال مال جازيت » Pall
Mall Gazette
٤ أغسطس

« يوم حافل مشهود » . عرضت قضيتي في مجلس العموم بعد ظهر اليوم . وقد ذهبت الى هناك بصحبة عبده ، وذهبت آن مع ليدى ونتورث . وفي الصباح أصدرت وزارة الخارجية كتابا أزرق حول القضية ، ويستفاد منه أن شريف باشا (رئيس الوزراء في مصر قبيل الاحتلال) قد وجه عددا من الاتهامات . ومن حسن الحظ أنني أستطيع ردها جميعا . أما الحكومة (الانجليزية) فلم يكن لديها أى كلمة تقولها في الحقيقة . وأيا كان ماوصلت اليه المناقشة (البرلمانية) فقد حققت لنا في مجموعها نصرا ، بالرغم من أنها تترك كل شيء على ما هو عليه ...
٦ أغسطس

وصلنى خطاب من برودلى (المحامى الذى سبق أن وكله بلنت للدفاع عن عرابى) يقترح فيه أن أقابل - بشكل عارض - إسماعيل باشا (الخديو) فى بيت إسكوت (رئيس تحرير مجلة « فورتنايتلى » fortnightly) وسوف أذهب الى هناك ، مع أنني واثق من أن اسماعيل لن يثير إعجابى ، ولكن حان الوقت لكى أعرفه . أن برودلى يعد بتحقيق الكثير للقضية الوطنية فى حالة عودته (الخديو) الى مصر ، وقد ذهب عبده لزيارته فى الأسبوع الماضى ولكنهما لم يتحدثا فى السياسة .
عند هذا الحد من يوميات بلنت ينتهى ذكر محمد عبده فى أول زيارة له الى العاصمة التى كانت سياستها سببا رئيسيا لنفيه .
وحين قابل بلنت الخديو اسماعيل بعد ظهر ٨ أغسطس ذكر فى

تسجيله لتلك المقابلة التي لم يرض عنها أنه تحدث مع الخديوى قليلا عن محمد عبده ، ولكنه لم يذكر أى تفاصيل . بل أنه لم يذكر بعد ذلك تاريخ انتهاء زيارة ضيفه وصديقه . أنها استمرت حتى صباح ٨ أغسطس على الأكثر ، لأن الأرجح أنه كان سيصحب محمد عبده معه الى تلك المقابلة العرضية مع الخديوى اسماعيل . ومع ذلك فمن الواضح أن هذه الزيارة الأولى لمحمد عبده التي دامت نحو أسبوعين قد أفادته هو شخصيا على الأقل من نواحي كثيرة . فقد أطلع بنفسه على رأى بعض المسؤولين عن تخطيط السياسة الانجليزية إزاء مصر والسودان والمسلمين فى الهند والدولة العلية . كما أطلع هؤلاء على أماكن يدور فى أذهان الوطنيين المصريين وقتها من افكار حول قضية مصر والسودان . وكان حديثه الى صحيفة « بال مال جازيت » من الوضوح والحسم بحيث ساهم فى بلورة الفكرة التى نقلها الى الانجليز . كما كان حديثه هو نفسه مع المركز (الدوق فيما بعد) هارتجتون الذى نشر خلاصته فى صحيفة « العروة الوثقى » بعد عودته من الوضوح والحسم أيضا بحيث لم يؤد - مع سابقه - الى تناقض فى الرأى أو الموقف . أما مقابله لجلادستون فلم تتم ولاندرى ما السبب . فلم يشر اليها بلنت بعد ذلك .

قال محمد عبده فى حديثه الى الصحيفة الانجليزية (الذى نشره بلنت فى ملاحق كتابه) إن تعاطف الانجليز مع المصريين أشبه بتعاطف الذئب مع الحمل قبل التهامه ، وأن الشئ الوحيد الذى علمته الحكومة الانجليزية للمصريين هو أن يتحدوا حول الرغبة فى إجلاء الإنجليز ، وإن أكبر خطأ ارتكبه الخديو توفيق هو السماح لهم بدخول البلاد وانضمامه الى اعداء دينه وقت الحرب ، وبذلك فمن المستحيل أن يكن له الوطنيون أى احترام . وأضاف : « نحن لانبغى خونة مصرية وقلوب انجليزية » ونفى أن يكون للفرنسيين خطر على مصر إذا تركها الانجليز . وقال عن المهدي فى السودان إن خطره الوحيد على مصر يتمثل فى وجود

الانجليز ، وإن الناس ترى فيه منقذا من العدوان المسيحي وسيهرعون للانضمام الى صفوفه إذا جاء اليهم ، وقال أيضا : إن انجلترا إذا أرادت إصلاح ما ألحقته بنا من ضرر فلا بد - كما قلت - أن تقدم لنا أول برهان على إخلاصها عن طريق إجلاء قواتها عن مصر . ثم تتفق مع الدول الأوروبية الكبرى وجمالة السلطان حول اختيار حاكم جديد لنا ولست مؤهلا لتحديد من يكون هذا الحاكم . ولكن أيا ما كان الذي سيختار فلا بد ألا يكون شخصا مكروها عند الشعب وأن يوافق عليه السلطان . ويجب أن يعين لمدة محددة ، لتكن سبعا أو عشرة من السنين ، ثم يسمح للشعب في نهاية المدة أن ينتخب حكامه بنفسه . فإذا أثبت أنه رجل أمين فقد يحتفظ عندئذ بمنصبه ... ويجب أن يكون الحاكم مسلما ومصريا بالميلاد إذا أمكن »

واختتم عبده حديثه بأنه لا يعارض عودة عرابي الى مصر ، وأن مكانه في حالة عودته - هو البرلمان الذي يجب أن يتم سلطة حاكم مصر ويوجهها . فهو رجل أمين ولكنه قليل العناية بالتفاصيل مما يقلل أهليته كإداري وكقائد للجيش . وأخيرا أعاد ما سبق أن قاله حول ضرورة جلاء الانجليز .

في ١٢ سبتمبر شرع بلنت في رحلة جديدة الى القسطنطينية (الاسم الأوربي للاستانة أو اسطنبول اليوم) عاصمة الامبراطورية العثمانية . ومر بلنت كعادته بباريس التي وصلها في وقت متأخر من مساء اليوم نفسه . وكان الهدف من رحلته هذه هو نفسه الهدف القديم الذي حدث الأفغانى وعبده عنه منذ أشهر عند عودته من رحلة الهند ، وهو أن يحاول حث السلطان (عبد الحميد) على المبادرة بالإصلاح . إذ يجب أن يفعل ذلك الآن وإلا قد زمام المسلمين الى الابد ، ولكنه - كما يضيف - لا يتوقع لنجاح في مهمته . فكل شيء هناك من الفساد - على حد قوله - بحيث لا يقيم بناء متماسكا .

وفي باريس قابل بلنت أصدقاءه « اللاجئين » مرة أخرى ففي

١٤ سبتمبر يكتب : « جاء عبده وصنوع على العشاء - كلاهما فاقد
الامل فيما يتعلق بأمر مصر وفي اليوم التالي يكتب : تناولت
العشاء مع عبده وجمال الدين ، وجلسنا فى مقهى على الشارع
حتى وقت متأخر » وباستثناء هاتين الاشارتين الى محمد عبده
لا يعود بلنت الى ذكره بعد ذلك فى متن الكتاب . ولكنه يضم الى
الملاحق العديدة للكتاب نصوص الرسائل التى تبادلها مع عبده فى
تلك الفترة وحديثه الى صحيفة « بال مال جازيت » ، وتعليقه على
تصريح لأحد ضباط الجيش الانجليزى حول أحداث الشغب
السابقة .

بهذا تنتهى مرحلة أخرى من مراحل علاقة بلنت بمحمد عبده .
وهى مرحلة بدأت بنفى عبده وانتهت بسفر بلنت الى تركيا ، أى من
أواخر ١٨٨٢ الى أواخر ١٨٨٤ ، بما يعادل نحو سنتين ، ولا تبدأ
المرحلة التالية إلا بعد عودة محمد عبده الى مصر سنة ١٨٨٩ ، أو
بمعنى أدق لا يظهر اسم عبده فى يوميات بلنت إلا عام ١٨٩٠ ، أى
بعد نحو عام من عودته الى مصر وستة أعوام منذ ظهور اسمه آخر
مرة عام ١٨٨٤ ، على الرغم من أن بلنت نفسه بدأ فى تسجيل
الجزء الأول من يومياته ، التى ظهرت بعنوان « يومياتى » سنة
١٨٨٨ ، وليس هناك سبب للاعتقاد بأن العلاقة بين الرجلين قد
انقطعت بخصام أو ما أشبه خلال تلك المدة فلاتوجد إشارة الى
ذلك فى كتاباتهما ، فضلا عن أن بلنت لم ينشر شيئا فى الفترة
الواقعة بين تاريخ صدور كتابه « جوردون فى الخرطوم » وتاريخ
صدور الجزء الأول من يومياته ، أى بين عامى ١٩١١ - ١٩٢١ ،
ولكن من الواضح أن محمد عبده كان فى حاجة الى الابتعاد عن
بلنت فور عودته الى مصر ، لأن بلنت كان على رأس الانجليز
المغضوب عليهم فى مصر إن لم يكن فى انجلترا ايضا وقد اشار
هو قبل قليل الى قضيته التى أثارت فى البرلمان الانجليزى ،
وملخصها أنه . منع من دخول مصر بعد أحداث ١٨٨٢ ومناصرته
للقضية الوطنية وظل ذلك المنع سارى المفعول نحو ثلاثة سنوات ،

وكان من الطبيعى - والحال هذه - أن يبتعد هو نفسه عن صديقه محمد عبده حتى لا يصيبه بالضرر مرة أخرى . ومن ناحية أخرى ظل محمد عبده - بعد عودته - يعيش فى الظل ، مغضوبا عليه تقريبا من الخديو والانجليز ، متنقلا فى القضاء بين بنها والزقازيق حتى نقل الى القاهرة عام ١٨٩٠ ، أى فى العام نفسه الذى شهد ظهور اسمه من جديد فى يوميات صديقه الانجليزى المعادى لسياسة الانجليز فى مصر وفى غيرها .

رشحه بلنت وزيراً للأوقاف وعينه الخديو مفتياً للديار

نال محمد عبده مكانا بارزا فى يوميات بلنت بجزئها ، إبتداء من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٩٠٥ التى توفى فى صيفها . وشكلت تلك الفترة التى تقرب من ١٥ سنة المرحلة الأخيرة فى علاقتهما ، وهى مرحلة اتسمت بميلهما المتبادل إلى الاعتدال فى الرأى والمواقف بشكل عام ربما بسبب السن فقد تخطى الاثنان الأربعين وقتذاك ، وربما بسبب الاحباط فقد عجز الاثنان عن تحقيق أهدافهما الكبيرة مثل استقلال مصر ووحدة المسلمين وعودة الخلافة الى العرب ، وربما بسبب الوضع المعادى لهما بعد احتلال مصر ، وربما - أخيرا - بسبب هذا كله مجتمعا .

ونبدأ بالجزء الأول من اليوميات ، فتطالعنا الاشارة الى محمد عبده ابتداء من يناير ١٨٩٠ . وكان بلنت قد جاء الى مصر - للمرة الثانية - بعد السماح له بدخولها عام ١٨٨٦ . واستقر فى بيته الذى يتوسط بستانا كبيرا للفواكه بضاحية عين شمس شمال شرقى القاهرة ، وهو بيت درج على تسميته مع البستان باسم « الشيخ عبيد » نسبة الى شيخ بهذا الاسم مدفون وسط الحديقة . ولكن بلنت منذ زيارته السابقة على هذه عام ١٨٨٩ كان قد قرر فى نفسه شيئا جديدا . فلم يحاول من قريب أو بعيد أن يتصل بسلطات

الاحتلال ، وعلى رأسها السير إيفلين بارنج القنصل العام والمقيم البريطاني وأعلى سلطة فى ذلك الوقت قبل أن يصبح « اللورد كرومر » وقد حدث قبل مجيء بلنت الى مصر هذه المرة أن قابل فى روما اللورد دوفرين السفير الانجليزى فى الاستانة سابقا ، ونائب الملكة فى الهند ، فأكد له أن بارنج لم يعد غاضبا منه وأن من المناسب أن يزوره . وأحس بلنت بشيء من التشجيع ، وانتعشت بداخله أحلامه القديمة ، وفكر فى المساهمة فى العمل على إعادة الحكم غير الاستبدادى الى مصر ، ولاسيما بعد أن سمع عن كرومر أنه أصبح معتدلا ، يصغى للرأى الآخر بإخلاص ، ويعامل زواره الانجليز حتى من كان منهم متطرفا - بأدب جم بعيدا عن المكر والدهاء الدبلوماسيين . نعود الى يوميات بلنت . وندع المجال لكلماته وطريقته العفوية فى تسجيل الحوادث وتصوير الشخصيات :

١٢ يناير ١٨٩٠

ذهبت أمس لمقابلة السير إيفلين بارنج بناء على موعد . ولم أكن قد زرته منذ لقائنا سنة ١٨٨٢ . ولكن الزيارة تحققت على النحو التالى : عندما كان الأمير وإجرام (الفرنسى) هنا قبل اسبوعين - وكان قد جاء بعدنا الى مصر فى نهاية العام الماضى - أبلغنى رسالة شفوية من بارنج بأنه يسره أن اذهب لرؤيته . ولم أكن فى ذلك الوقت واثقا تماما من كيفية الاستجابة للدعوة ، فأجلت اتخاذ أى خطوة ، ولكن حدث أن زارنى يوم الأحد الماضى محمد المويلحى (الأديب مؤلف « حديث عيسى بن هشام ») فروى لى أخبار حركة سير الأمور من الناحية السياسية . وأكد لى أن الناس أصبحوا أكثر توافقا مع الأوضاع وأن رياض (رئيس الوزراء) سمح لهم بقسط أكبر من الحرية الشخصية ، وأن توفيق اعتزل العمل السياسى تماما . وقد سمح بعودة جميع المنفيين تقريبا ، وعين محمد عبده قاضيا فى بنها . ونصحنى (المويلحى) بأننى

والحال هذه ، يجب أن أستجيب لمبادرة بارنج حرصا على مصلحة عرابى . وقال إن هذه الاستجابة تزيد فرص نفوذى ، لأن الناس كانوا يخشون وقتها التردد على ، خوفا من سخط بارنج . ولم يكن من رأى المويلحى أن رياض يعادبنى فى حين رأى العداء من جانب الخديو بلاشك . ومع ذلك كان الخديو سريع التأثير ، فإذا رأى أن بارنج لايعادبنى فسوف يعتقد أن من الأضمن له أن يحذو حذوه ، وقد رأيت أن هذه نصيحة سديدة ، وبناء عليها كتبت مذكرة الى بارنج أفيد به بأننى تلقيت رسالته الشفوية من وأجرام وأطلب منه تحديد موعد لرؤيته . فرد على بأدب جم وهكذا تم ترتيب زيارتى .

وجدت بارنج فى مكتبه فى الساعة الثانية ، ومكثت معه نحو نصف ساعة ... ذكرت له أننى سمعت أن محمد عبده قد عاد وتسلم وظيفته فأثنى كثيرا على الشيخ ، وقال أن كل المنفيين تقريبا قد عادوا .

تكررت زيارات بلنت لكرومر بعد ذلك . وشيئا فشيئا قوى حيل المودة بينهما ، وازداد سماع كرومر لرأى خصمه القديم ، حتى عاد بلنت الى إنجلترا فى الصيف . ولما جاء الى مصر مرة أخرى فى خريف ذلك العام وصل ماانقطع من زياراته لكرومر الذى لم يكن يقبل على الأهالى . فكان هؤلاء يأتون بمشكلاتهم الى بلنت فيرفعها الى كرومر حتى تجد حلا . وفى إحدى زياراته حدثه عن بعض أفكاره بعد أن فشل فى إقناعه بإعادة عرابى من منفاه .

قال بلنت :

« ولما فشلت فى هذا بشأن عرابى ركزت سعى وقتها على محاولة جذب اهتمامه نحو الأعضاء الآخرين للحزب الوطنى السابق . وكنت فى ذلك الوقت أحظى كثيرا بزيارات صديقى القديم الشيخ محمد عبده الذى أصبح جارى فى الإقامة بحكم عمله كقاضى لمدينة بنها عاصمة منطقتنا . وبناء على اقتراح منه قدمت لبارنج خطة تقضى بالاستعانة بهؤلاء الوطنيين القدامى فى

مجالسه ، وتشكيل حكومة من الفلاحين المصريين مكان الباشوات
الشراكسة الذين كانوا يشكلون حتى ذلك الوقت الطبقة الوحيدة من
المسلمين المسموح لها بتولى الوزارة فى ظل النظام العائد منذ
(موقعة) التل الكبير .

ثم يعود بلنت الى يومياته فيبدأ بالحديث عن عصابات اللصوص
فى القاهرة وضعف الأمن :

١٤ مارس ١٨٩١

« وصلت الى نتيجة فيما بعد مؤداها أن التسامح الذى
استمعت به العصابات طويلا كان يرجع الى التغاضى الضمنى من
جانب رياض مع عدم الكفاءة والارتباك من جانب بيكر (باشا مدير
الشرطة الانجليزية) الذى أعفى من منصبه (عقب ازدياد حوادث
السرقاات الليلية) وقد استغللت ذلك فى رسم عبرة لبارنج ، فكتبت
له رسالة أجملت فيها الحجج الى تدعيم رأى حول ضرورة تأليف
حكومة من الفلاحين (الاهالى من غير الأتراك أو الشراكسة أو
الشوام) ، وأرسلت له قائمة بأسماء رجال حزب الفلاح (ذوى
الأصول الفلاحية . فلم يكن هناك حزب بهذا الاسم) الذين يمكنهم
تأليف وزارة إصلاح . وقد أعددت القائمة بالتشاور مع الشيخ
محمد عبده ومحمد المويلحى . وهذه هى الأسماء :

حسن باشا الشريعة من المنيا

بليغ بك

أمين بك فكرى

سعد أفندى زغلول

أحمد أفندى محمود

ابراهيم أفندى الوكيل

أحمد بك حشمت

يوسف بك شوقى

الشيخ محمد عبده

ومما يجب ملاحظته أن هذه القائمة تضم اسم سعد زغلول الذى

عينه كرومر بعد ١٥ سنة وزيرا للمعارف العمومية ، كما تضم اسم الشيخ محمد عبده الذى عين بعد ذلك مفتيا للديار المصرية ، والذي قال عنه كرومر إنه الأمل الرئيسى للإصلاح الإسلامى فى مصر ، ومع ذلك أضاع كرومر فرصته الحقيقية حين تجاهل توصيتى بحسن الشريعة الذى كان ثقله السياسى أكبر من ثقل أى من هؤلاء ، وقد مات قبل أن يقنع بارنج نفسه بقبول وزارة من الفلاحين . ومع ذلك فقد أجاب بارنج : « لا أعتقد أن هناك أدنى فرصة لأن يشكل الخديو وزارة من الفلاحين »

٢٠ يناير ١٨٩٢

زارنى الدكتور عبد الرزاق بك .. الذى كان أحد الأصدقاء الشخصيين لعرابى وأحد كبار مستشاريه ، فهو يعرف أوروبا جيدا ويتحدث الانجليزية والفرنسية ، مما كان نادرا فى ذلك الوقت . وبناء على نصيحته ونصيحة الشيخ محمد عبده الذى كون رأيا مؤيدا للخديو الشاب عباس بعد اعتلائه العرش محل أبيه (توفى فى يناير من ذلك العام) قررت أن الوقت قد حان امامى لعقد صلح رسمى مع الحكومة المصرية . وقد كان من الصعب على أن أفعل هذا فى حياة توفيق ، لأننى اشتركت فى الثورة على نحو بارز أكثر من اللازم ونددت بتوفيق علنا بعدها الى درجة تجعل من المستحيل على أن اتخذ أى خطوة نحو الصلح أو أن أقدم احتراماتى اليه بالمثل الى القصر ، ولكن أصدقائى رأوا عند ذاك وجوب السعى فى طلب لقاء خلفه . وبناء على ذلك طلبت من بارنج أن يقدمنى الى عباس بطريقة رسمية على نحو ماجرت عليه العادة مع سواى من الانجليز الذين يزورون مصر . (قام بارنج بالمهمة وتم التعارف فى قصر عابدين فى أول فبراير ١٨٩٢)

٢٤ فبراير ١٨٩٣

جاء الشيخ محمد عبده على الغداء ومكث معنا طوال فترة

العصر . ولم أكن قد رأيته منذ الانقلاب (تعبير تقديرى عن سياسة كرومر المتسلطة) وكنت متشوقا لسماع رأيه . وهو يؤيد رياض بوضوح ويقول إنه رجل يعتمد عليه بعكس تيجران (باشا الأرمنى وكيل وزارة الخارجية) أو بطرس (غالى باشا) فتيجران وأرتين (نوبار باشا رئيس الوزراء الأرمنى) والمسيحيون عموما يبذلون كل مافى وسعهم للقضاء على التربية الاسلامية . اما رياض فهو مستبد ولكنه شريف . ثم أبدى رأيه فى مختلف رجال الانجليز العاملين بمصر . ويقول إن أفضلهم سكوت وجارستين وكوربيت ، وإن النفوذ الانجليزى لم يتحطم فى السنوات الأخيرة إلا باستقدام كثيرين من الانجليز القليلي الشأن . وضحك كثيرا عند ذكر والاس ومدرسة الزراعة التى أنشأها - كان الأساتذة فيها يستقون معلوماتهم عن الزراعة من الفلاحين - وكذلك عند ذكر ويلكوكس وإصلاحاته فى اللغة العربية . وهو سعيد جدا لأننى سأقابل التخيرو ويريدنى أن أركز على إفهامه ضرورة التعاون مع رياض ، والاستعانة بشباب المسلمين ، لا بالأرمن ولا بالشوام ، ومراعاة الدستور . وقال : « نحن لايهمنا أن يبقى الانجليز عاما أو عامين أو خمسة أعوام ماداموا لن يبقوا الى الأبد . ووجودهم حاليا خير للبلد حتى يختمر حزب الفلاح . ولكن إذا لاح خطر السيطرة علينا فنحن على أتم استعداد للمخاطرة بقبول بعض استبداد الأتراك أفضل من قبول المخاطرة الأخرى الأكبر أما إذا جلوتكم عن البلاد غدا فثق أننا سنسعد جميعا » وأغلب الظن أن عبده هو أكثر المصريين حبا للانجليز .

٢ أبريل

ذهبت الى القاهرة (من عين شمس) حيث صحبت سلطان يوهور (المسلم الذى جاء من الملايو فى جنوب شرق آسيا لزيارة مصر فى طريقه الى تركيا) إلى الشيخ البكرى (نقيب الاشراف) وقمت بدور المترجم له ... وراح يروى عن حبه الجلوس على الأرض

وتناول الطعام بأصابه كلما ضمه البيت مع زوجته وأمه وأراد أن يعرف ما إذا كان أحد فى القاهرة يفعل ذلك ، ولكن القاهرة تنتشر فيها المقاعد والأرائك الأوربية . وقد وعدناه بأن نريه ذلك أيضا . ومن المفروض أن يذهب لزيارة محمد عبده .

وذهبت بعد ذلك بمفردى فى صحبة محمد عبده لزيارة مختار باشا (مندوب السلطان العثمانى فى القاهرة) وتحدثنا طويلا عن الموقف السياسى ...

١٢ ابريل

تناولت الغداء مع تيجران . واعتقد أنه متحمس فى وطنيته مع أنه أرمنى ... ويرى أن محمد عبده خير من يتولى إصلاح الأزهر وطلب منى إرساله إليه .

٣١ ديسمبر

تناول محمد عبده الغداء معنا يوم الجمعة . وهو راض تماما عن الطريقة التى تجرى عليها الأمور هنا . ويقول إن رياض يتعاون مع الخديو جيدا ، ويوافق على عمل المجلس التشريعى . أما بالنسبة للقسطنطينية فيقول إن السلطان مجنون ولا جدوى من التعاون معه . ولما تحدثنا عن جامعة الأزهر (المقصود الجامع الأزهر) قال إنه لا يوجد سوى شيخ واحد يصلح شيئا للأزهر على أساس مستتير ، وهو حسن النواوى (المقصود حسونة النواوى)

١٥ ابريل ١٨٩٤

قضى محمد عبده اليوم معنا . ويقول إن الحزب الوطنى أصابه اليأس نتيجة استقالة رياض ، ومازال أكثر يأسا بسبب عودة نوبار الى الحكم ، لأن نوبار يعنى عهد جامعى المال والمضاربين وحكم مصر بالأوربيين والشوام والغرباء من كل أرض .

٢٠ ابريل

آخر يوم لنا فى « الشيخ عبيد » أصابنى الحزن لتركى له هذا العام أكثر من أى عام مضى ، وقد استقر رأيى - إلى حدما - على أن تكون هذه آخر زيارة لى لانجلترا . فبيتى الحقيقى فى مصر وهذا مايزداد فى نفسى مع الأيام ...

(يروى بعد ذلك عن فشل الحركة الوطنية فى سنتى ١٨٩٢ - ١٨٩٤ لغياب الزعامة القوية وصغر سن الخديو عباس وعدم خبرته ، وإصرار اللورد كرومر على المضى فى السياسة الاستعمارية ، فضلا عن مصالح المال فى لندن وباريس ثم يقول :)
لقد كان التاريخ يكرر نفسه مئات المرات ، تاريخ التلاعب الانجليزى بولايات الاهالى فى الهند ، وكان المشهد فى نظرى محزنا ، فهى فترة خاوية ، اتخذت خلالها - برغم احتفاظى بالاهتمام العميق بما كان يجرى - موقع المتفرج كلية ، دون أن أفقد صلتى بالسياسة المحلية اليومية خلال زيارتى الشتوية للشيخ عبيد . وكان مصدرى الأساسى فى هذه الصلة هو الشيخ محمد عبده الذى أسكنته بيتا ريفيا على قطعة من أرضى تبعد عن بيتى نحو نصف ميل . وكان له فضل على كمؤرخ وكاتب يوميات يتمثل فى كونه صديقا حميما لمصطفى فهمى (باشا رئيس الوزراء فى ذلك الوقت وحموسد زغلول) الذى لم يكن يخفى عليه شيئا ، ولا كان عبده يخفى عنى شيئا .

٣٠ نوفمبر

تناول الشيخ محمد عبده الغداء معنا . ويقول لى إن أفكار الخديو لم تتغير عما كانت عليه فى السنة الماضية ، ولا يزال جانقا على كرومر والاحتلال ، وإن السلطان منعه من إتمام زيارته لانجلترا فى الصيف الماضى ، عدا أشياء كثيرة أخرى . ولكن الخديو عطوف جدا عليه (عبده) الآن ، استقبله مقابلة خاصة دامت ٣٥ دقيقة ، حقق خلالها رغبته الطويلة فى منحة قدرها ٢٠٠٠ جنيه سنويا لجامعة الأزهر . وقد تقرر تشكيل لجنة للإشراف على إنفاق المبلغ . غير أننا تحدثنا عن الأحداث

القديمة . وروى لى مرة أخرى تاريخ اغتيال اسماعيل صديق المفتش (وزير مالية الخديو اسماعيل) على يد اسحق بك فوق ظهر باخرة الخديو ، فقد خنقه اسحق بيديه . ويقول إن هذا قد تم فى النهر بلا شك ، أمام قصر الجزيرة ، فور اعتقال الخديو لاسماعيل صديق . كما روى لنا قصة مغامرة على باشا شريف مع الرقيق . فقد اعتقل قومنا (الانجليز) فى الفترة الأخيرة على باشا شريف بتهمة الاتجار فى الرقيق ، مع أنه ربما كان أكبر الشخصيات الحالية فى مصر سنا وأكثرها احتراماً ، فضلاً عن أنه رئيس المجلس التشريعى . ومع ذلك فقد تصرف (هذا) الباشا بغباء شديد مثل « الأطفال » على حد تعبير عبده . وحقيقة الأمر أنه بدأ يعانى من تهريف الشيخوخة ومع ذلك تعلق على نحو غبى بامرأة راح ينفق عليها وقته وماله ، واشترى لها العبيد . كما روى لنا (عبده) عن مشروعات نوبار الحالية لجمع المال وهو فى الحكم ، وكذلك عن فضائح أخرى وقعت خلال الصيف .

٢٨ نوفمبر ١٨٩٥

٠٠٠ نزلت اليوم إلى القاهرة وقابلت اللورد كرومر فقال لى أنه أرسل الى كتنشر (الجنراك اللورد حاكم السودان) خطابى الذى كتبته^(١) وسوف يبلغنى بالرد عند وصوله . ثم حدثنى عن أشياء أخرى وعن إمكان تعيين محمد عبده رئيساً للأوقاف^(٢) . وقد أيدته فى هذا كل التأييد بلاشك .

١٦ ديسمبر

نزلت الى القاهرة لمقابلة الخديو (عباس الثانى) ... سألتنى عن الأحوال فى الجزيرة العربية ، وقال لى إنه استقبل ابراهيم بن

(١) كان بعض أهالى دنقلة قد شكوا لبلنت من رفض الانجليز عودتهم الى ديارهم ، وطلبوا تصريحاً بذلك فكتب بلنت الى كرومر معزوا مطلبهم .
(٢) ربما قصد « وزيراً »

ثنيان (ابن سعود النجدى الذى كان لاجئاً فى الأستانة ثم فر الى مصر) ولكن الشيخ محمد عبده حذره من أن يكون جاسوساً للشيخ أبى الهدى (الصيادى مستشار السلطان ومنجمه) فقلت له أننى لا أعتقد هذا ولكن لا مانع من الحرص .

١٦ يناير ١٨٩٦

جاء محمد عبده وم . أرمينيان (أرمنى مصرى موظف فى الحكومة) وتحدثت مع عبده حول موضوع الجلاء بشكل شامل . وهوىقول أنه برغم صلته الوثيقة بالخديو فليس من المفيد أن يوثق فيه فيما يتصل بالسلطة - ويجب أن تستقل عنه الوزارة على قدر الامكان ، وأن تستند الى دستور . ويعتقد أن هذا أمر اساسى ، ومن الممكن إيجاد رجال أكفاء يستطيعون كوزراء أن يصدوا تغفل الخديو ، من خارج نطاق الموجودين حالياً فى الوزارة الذين هم مجرد دمي . وليس من المفروض عزل الوزراء مادام مجلس النواب يؤيدهم . وإذا استطعنا الحصول على تأييد الفرنسيين لهذه الخطة فإن الجلاء أمر فى غاية البساطة .

١٤ مارس

زارنى محمد عبده اليوم ، ويقول لى إن هناك احتمالاً الآن بالسماح بعودة عرابى ، إلى قبرص أولاً ثم الى مصر . وقد حدثه عن ذلك مصطفى فهمى رئيس الوزراء ، وقال له إن كرومر لا يمانع إذا وافق الخديو . وإذا صح هذا فلا بد من تدبير الأمور .

٢٤ مارس

زارنى الشيخ محمد عبده وروى لى عما يجرى فى القصر . فهو يقابل الخديو الآن مرتين فى الأسبوع ويؤم الناس للضلاة يوم الجمعة فى مسجد (قصر) القبة ، ويحذف اسم السلطان (العثمانى) من الدعاء . وقد كان مع الخديو قبل قليل ، وفى أثناء

ذلك جاءت رسالة من اللورد كرومر يشكو فيها من إعلان الخديو فى حديث خاص عن رفضه فكرة حملة دنقلة . ولكن الخديو غضب جدا من الرسالة ، وبعدها استقبل اللورد كرومر فكرر عليه شكواه . ورد الخديو بأنه سبق أن اتفق مع جنابه حول هذه النقطة ، فاعترض اللورد كرومر وقال إن الموافقة تمت على هذا وإن من اللازم إضفاء الجدية والقبول عليها ، ورجا الخديو أن يتحدث الى الجنود بهذا المعنى . وقد فعل الخديو ذلك . وجاءه اللورد كرومر أيضا برسالة من اللورد سالسبورى (رئيس الوزراء) يعتذر فيها عن وقوع « خطأ شكلى » من جانب الحكومة الانجليزية حين أمرت بتقديم الجيش نحو دنقلة قبل إبلاغ سموه . وشرح اللورد سالسبورى أن زحف الجيش قد تقرر بهدف « إرضاء الرأى (العام) المصرى » وقد روى الخديو هذا كله لمحمد عبده ، ولا أشك فى صحته .

١٧ ابريل

فى صباح الغد تغادر مصر الى انجلترا . وقد جاءنا محمد عبده أمس ومعه شاب تركى من أنصار الحزب الحر فى القسطنطينية . وكان حتى وقت قريب موظفا فى البنك العثمانى . ولا يبدو على أمل فيما يتعلق بما يجرى على ضفتى البوسفور ...

روى لى محمد عبده تفاصيل حول الغارة التى شنت على الزنوج فى مصر . فقد أمسكت الشرطة أكثر من ٨٠٠ زنجى من أجل كتشنر وسلكتهم فى الجيش . وفى بعض المديريات كان أى شخص أسود يتم إمساكه مهما كانت سنه ثم يرسل الى القاهرة ، حيث يتم التحفظ على الصالحين للجندية ويطلق الباقون ليهيموا فى الشوارع . ومع ذلك تتحدث حكومتنا (الانجليزية) عن القضاء على تجارة الرقيق كهدف من أهداف هذه الحرب فى السودان ، ولاشك أن المائتى زنجى الذين أخذهم رودس (سيسيل المستكشف الانجليزى) الى جنوب أفريقيا قد تم شراؤهم من حكومة زنجبار التى جمعتهم من هنا ، وفى الغارة الأخيرة كان

الزئوج ذؤو المراكز المآترمة ىآعرضون للامساك ، ومنهم ابن بواب
الآءىو وآاءم الشىآ العباسى شىآ الأزهر وكاتب فى المآاكم
الأهلىة بالقاهرة ىآقاضى سبعة آنىهات فى الشهر . وقء آم
آآلىص هؤلاء ولكن كآىرىن آءا آىرهم أرسلوا (الى الحرب)

بين نزوات الخديو عباس واستبداد اللورد كورمر

٩ نوفمبر ١٨٩٦

زارنى الشيخ محمد عبده اليوم وتحدثنا طويلا عن الخديو .
وعبده غير راض عن بعض تصرفات سموه ، ولاسيما فيما يتعلق
بنزاع حول ارض له مع حسن موسى العقاد . (شيخ تجار القاهرة
زمن الثورة العربية واحد الذين حوكموا ونفوا) وهو يصف سلوك
الخديو فى ذلك بأنه صبيانى ، وهذا صحيح ويقول ان زواجه
(الخديو) كان من تدبير أمه من أوله لآخره . فعندما عاد عباس
من أوروبا لأول مرة كان يريد أن يبقى أعزبا بعيدا عن النساء ،
ولكنه اختار فى النهاية زوجته الحالية . وقد خاب أمه من جديد
هذا العام حين ولدت له بنتا ثانية بدلا من ولد .

٢٩ نوفمبر

تحدثت طويلا مع محمد عبده قبل أيام . كان قد قرأ مقالى عن
أرمينيا الذى نشرته مجلة « القرن التاسع عشر » Nineteenth
Century ووافقنى على كل مذكرته ضد عبد الحميد

(السلطان) وهو يراه رجلا مجنوناً يجب خلعه . وروى لى حكاية طريفة عن اضطهاده فى الأزهر من جانب شيوخ العلماء التقليديين فى عصر اسماعيل ، ولاسيما عليش . ويقول ان تلاميذه بلغوا ذات مرة ٤٠٠٠ طالب كانوا يحضرون محاضراته ، ولكن المعارضة المحافظة كانت أقوى منه . ومع ذلك فالقاهرة على قدر كبير من حرية التفكير والتعبير حتى فى تلك الأيام . ولم تسوء الحال هنا من قبل قدر ما هى سيئة الآن فى القسطنطينية ولكن جميع الافكار البالية فى الحرية والانسانية فى طريقها للاختفاء السريع من العالم . ونحن نجد نفسينا ، عبده وأنا ، وحيدين تقريبا فى آرائنا .

٢٢ ديسمير

جاءنا محمد عبده أمس . وروى لى الاخبار . فقد حدث لخط كبير بسبب تصديق محكمة الاستئناف الاهلية على براءة الشيخ على يوسف . وكان على يوسف قد قدم للمحاكمة بسبب نشره تلغرافا فى صحيفته « المؤيد » يتصل بالأحداث العسكرية أثناء حملة دنقلة ، وقيل إنه تلقاه من موظف تلغراف يدعى كيرلس . وكان الدليل ضد على يوسف وأهيا للغاية ، أما الدليل ضد كيرلس فكان مجرد ظن . فقد شوهد الأخير ذات مرة وهو يقوم بنسخ تلغراف ، بغية إرساله الى احدى الصحف فى الغالب ، ولكنه ليس التلغراف المعنى هنا . أما على يوسف فلم يثبت ضده أى دليل على الاطلاق . ومع ذلك يبدو أن كرومر قد أصر على المضى فى معركة ضد الصحافة ، فلما وصلت القضية أمام محكمة الاستئناف طالب القاضى الانجليزى كامبيرون زميليه الوطنيين بأن يدينوا المتهم ، وإلا عرضا محكمة الاستئناف الاهلية لاجراءات « إصلاح » قوية تتخذ ضدها . كما اتهمهما بالتواطؤ مع الخديو ، وعندما رفضا بإباء إدانة المتهم رفض كامبيرون الجلوس معهما فى جلسة الحكم

بالبراءة . وقد أعلن كرومر الآن أنه سيضيف الى هيئة المحكمة عددا من المستشارين الانجليز حتى يقضى على الأغلبية فى أعضاء هيئات المحاكم من الأهالى . ويؤكد لى عبده أن الحقيقة تبرئ الخديو من أن يكون له اى دخل فى الموضوع ، وأن القضاة ماكانوا يستطيعون الحكم بشئ اخر فى وجود الأدلة التى أمامهم ...

ويضيف عبده أن اللورد كرومر خاضع لتأثير بعض الشوام ، ومن أهمهم محرر جريدة « المقطم » وشخص يدعى شكور . وقد أصبح للصراع والنزاع بين كرومر والخديو طابع شخصى جدا . (كان محرر « المقطم » هو فارس نمر (باشا) الذى تعاون مع الانجليز منذ هجرته من بيروت مع زميله يعقوب صروف محرر « المقطف » سنة ١٨٨٤ . فلما صدرت « المقطم » سنة ١٨٨٨ حافظت على صلتها بالانجليز حتى توقفها مع زميلتها فى أواخر ١٩٥٢ بعد ثورة يوليو أما شكور الذى ذكره بلنت فهو ملحم شكور (بك) أحد المهاجرين الشوام ومن أقطاب الماسونية فى مصر وأعاون كرومر)

١٧ ابريل ١٨٩٧

جاءنى عبده بأخبار عن نشوب الحرب بين اليونان وتركيا . واتفق رأينا على أنه من الأفضل أن تتطور الامور الى الحرب .

٢٦ نوفمبر

جاء الشيخ محمد عبده لزيارتي . وروى لى مايدور من أخبار السياسة والقصر . وأخبرها حول شاب قدم للمحاكمة بتهمة العيب

فى ذات الخديو والتعريض به فى شعره . ويؤكد لى عبده أن
المحركين الحقيقين لهذا الموضوع هم محرم باشا شاهين
والشيخ البكرى بالاشتراك مع الشيخ أبى الهدى (الصيادى) فى
القسطنطينية . وقد دبروه بهدف ارضاء السلطان . ومع ذلك ووط
كرومر نفسه فيه . ولكى يحصل على حكم بالادانة فى القضية ، أو
بمعنى الأصح لكى يستر بعض الأشخاص المتورطين فيها من
أنصار السياسة الانجليزية قام بتعيين كوربت الانجليزى فى مكان
النائب العام المصرى فى المحاكم الاهلية . ومازال الخديو على
نصام مع السلطان ، وقد نظمت القصيدة (التى عابت فى
الخديو) لارضاء جلالته ، ولكن من سوء الحظ أن خطأ وقع فى
طباعتها حين هجا الشاعر الخديو بأنه « تركى » . وبذلك تساوى
يلدز (قصر السلطان) فى .الاهانة تقريبا .

(كان الشاعر الشاب الذى هجا الخديو هو مصطفى لطفى
المنفلوطى (١٨٧٦ - ١٩٢٠) وكان مطلع القصيدة :
قدوم ولكن لا أقول سعيد وملك وإن طال المدى سيبيد
أما البيت الذى ذكر بلنت أنه اساء إلى يلدز فهو :
فلما توليتم طفيتم وهكذا
إذا أصبح التركى وهو عميد
وقد حكم على المنفلوطى بالسجن سنة وغرامة قدرها ٢٠ جنيهها
ثم عدل الحكم عند استئنافه الى ستة أشهر مع الغرامة ، بالرغم
من أن القصيدة (٢٥ بيتا) نشرت فيما يشبه المنشور دون
توقيع)

٢٥ فبراير ١٨٩٨

تردد أن كرومر سينقل الى وزارة الخارجية . فالمحافظون
يريدون الآن رجلا قويا حتى يحفظون سياستهم القائمة على
العنف ، وكرومر يناسبهم . ولست أهتم كثيرا بالطريقة التى تجرى

بها الأمور لأن زمان الرشد قد ولى . وإن يحدث أى غير حتى
تتهوى الامبراطورية . وسيتربع كرومر على صمام الأمان
الامبراطورى كما يتربع سواه . وقد جرى بينى وبين محمد عبده
حديث طويل اليوم حول هذا وغيره من الأمور .

٩ مارس

غادرت مصر إلى انجلترا . وقد جاء محمد عبده لتوديعى . كنت
أعانى ألما بالغا حتى أننى شعرت بأنى أكاد أموت . وفى مثل هذه
الظروف منذ عامين كنت لأعلن إسلامى بين يديه ، ولكنى لن أفعل
ذلك اليوم ، مع أننى تأثرت كثيرا لفراقه كما لو كنت ألقى آخر
كلمات على صديق عزيز ، ولكنى أشعر الآن أن هذا كله وهم .
فالمسلمون الذين يؤمنون اليوم لايزيدون على الوحوش المفترسة
مثل رجال سيوه ، والباقون فقدوا إيمانهم . ومع ذلك لاتفرينى
المسيحية كثيرا . ولست أرغب فى الحياة مرة أخرى ، وإنما أرغب
فى فناء القبر .

(لم تتحقق رغبة بلنت على أى حال ، فقد عاش ٢٤ عاما بعد
ذلك . ولكن هذه الفقرة الحزينة المؤثرة تردنا الى توضيح نقطتين :
الأولى أن بلنت تربى تربية كاثوليكية ولكنه عاش على عدااء مع
الكنيسة ، والأخرى أن عدااء للكنيسة ومصادقته للمسلمين قرباه
من فهم تعاليم الاسلام . وكانت صداقته لمحمد عبده توشك أن
تدخله فى زمرة المسلمين . ولكن وقع له فى صحراء الغربية حادث
خطير رده عن سبيله الى الاسلام . فمنذ أحداث الحركة المهدية
فى السودان سنة ١٨٨٢ بدأ بلنت يتعلق بهؤلاء المجاهدين
الزاهدين المسلمين . ثم اشتد تعلقه حين سمع الكثير عن حركة
معاصرة لتلك هى الحركة السنوسية فى صحراء مصر الغربية
وليبيا ، فصمم على الاتصال بشيوخها ومعرفة تعاليمهم ، فلما منه -
كما يقول - بأن السنوسية « أفضل المسلمين فى العالم » وفى ٥
فبراير ١٨٩٧ قام برحلة الى مركزهم فى واحة سيوة بصحبة ثلاثة

من البدو وخادم واحد أبناء قبيلة أولاد على وستة جمال وفرس .
ومع أنه كان معتل الصحة وقتها فقد أقبل على الرحلة بحماس
شديد ونشاط عجيبين ، برغم طولها ومشقتها . ولكن قافل هذه
سرعان ماضلت الطريق بعد خروجها من الفيوم حتى أخذ يدعو -
كما يقول « جميع الدعوات التي عرفت لها لشيوخ المسلمين
والمسيحيين » وبعد خداع طويل من الطريق والسراب وقعت
الواقعة ، وانتهى به الأمر إلى كمين من ٢٠٠ شخص تعرض خلاله
للضرب والابتزاز والاهانة ، وسرق ماله وسلاحه ، على أيدي هؤلاء
البدو من اتباع السنوسية ، أو أشباه اتباعهم ، لأنه لم يتحقق من
ذلك . ولكن مارواه يؤكد أنهم ظنوه جاسوسا للسلطان ، وكان
الخير يحارب السنوسية ، ولولا أن أنقذه معاون سيوه لمات في
أيديهم ثم عاد إلى داره محطما مريضا بعد ٤٠ يوما . وتركت هذه
الحادثة أثرا في روحه وبدنه لم تمحه السنون بعد ذلك ، ولكنها لم
تفقده عطفه على أصدقائه المسلمين ولاتقربه طوال وجوده في
مصر من المشايخ والأولياء على طريقة حاشية بيته وخدمه ، وقد
غادر بلنت مصر محملا بالآلام هذا الحادث ، ولم يعد إلا بعد ما يقرب
من سنتين)

٥ ديسمبر ١٨٩٩

وصلت إلى الشيخ عبيد بعد غياب يقرب من سنتين ... وقد
استقبلتني أن في القاهرة واتجهنا إلى البيت في الحال ، وأسعدنا
الحظ بأن نستقل عربة قطار وجدنا فيها الشيخ محمد عبده . ومن
دون جميع الشرقيين ، وربما أقول من دون جميع الرجال ، فإن
محمد عبده ، أعز إصدقائي ، بعد أن سجن بسبب آرائه الحرة
ونفته العودة الخديوية الانجليزية سنة ١٨٨٢ ، قد أصبح بالتدريج
معروفا بما هو أهله ، فهو أقدر وأشرف رجل في مصر - وقد عينوه
مفتيا للديار ، وهي أعلى سلطة دينية في المملكة الشريفة . لقد
أعطيته فدانا من الأرض منذ سنتين بنى لنفسه عليه دارا ريفية

وأصبح بذلك أقرب جار لنا . وحين ودع كلانا الآخر عند آخر مغادرة لى لم أكن أظن كثيرا أننا سنلتقى مرة أخرى .
أول يناير ١٩٠٠

٠٠٠ جاء مفتينا محمد عبده خلال فترة العصر . وقرأت عليه خطاب هربرت سبنسر (الفيلسوف الانجليزي وعالم التربية المعروف) الذى شاقه كثيرا ، ثم شرحت له قصيدتى (كانت بعنوان «تخليص الشيطان») وهو يعد سبنسر على رأس الفلاسفة الاحياء ، وقد ترجم له الى العربية كتابه عن التربية كما شرحت لشقيقه حمودة أرائى حول حقوق الحيوان ، وكان الموضوع جديدا عليه تماما . فقال بعد تأمل فيه إنه يتفق كل الاتفاق مع ما جاء به القرآن وتعاليم الاسلام من احترام للحيوان ، بل للجماة . ولذلك فمن غير المسموح به أن يعتمد أحد تشويه حتى الحجارة . والحق أن المسيحية هى المسئولة بالفعل عن الموقف الوحشى الذى يتخذه الانسان الحديث تجاه الحيوان . ولا يوجد دين آخر يستحق أن يسمى بالدين من شأنه أن يتسامح مع هذا الموقف ، ولكن اطباءنا المسيحيين أقروا المبدأ الأخرق الذى يقول إن الحيوان والطير ماخلقا إلا لاستعمال الانسان ومتعته ، وإنه ليس مكلفا بأى واجب نحوهما ... ورأى الشخصى هو أن الطيور والحيوانات المفترسة التى لاتؤذى الانسان لها الحق فى أن تعيش فى سلام . ولكن الطيور والحيوانات التى نعمل على تربيتها بإضفاء حمايتها عليها لايد أن تدفع جزية معينة ، تماما كما فى حالة حيواناتنا الأليفة ، بالرغم من أن القانون الاسمى يقضى بترك الجميع فى سلام . وقد تناقشنا فى الليل ، على العشاء ، حول هذه الأمور .

١٠ يناير

كان محمد عبده فى زيارتنا اليوم . وهو يؤكد كل التأكيد ماروى

عن ككتشنر من حكايات حول معاملته لراس المهدي كما كتبتها في الصيف الماضي بصحيفة « الديلي نيوز » ، ولاسيما مايتعلق برفض كرومر لها وكراهيته لككتشنر . وقد اتفقنا في النهاية على أن العناية الالهية قد غضبت على هذه الاهوال المقرفة ، وأن امبراطورية انجلترا سيكون مصيرها مصير كل ماسبقها من امبراطوريات .

٢٨ يناير (الأحد)

جرى بيني وبين محمد عبده حديث طويل حول موضوع البشرية ومعاملة القوى للضعيف . وقد وجدته متشائما مثلي . فقد طالع التوراة مؤخرا ووجد أن فظائع المسيحية ترجع على نحو واسع الى صلتها باليهودية . أما بالنسبة لمعاملة الحيوانات العجماوات فقد روى لي عددا من الاحاديث النبوية التي تحض على الرأفة ، ولاشك أن القضاء المتعمد على هذه الحيوانات مخالف لعواطف المسلمين والقضاء المتعمد أيضا غريب على المسيحية . وعبده لايعتقد أن مستقبل البشرية زاهر . وأخشى أن يكون إيمانه بالاسلام ضعيفا ، بالرغم من أنه مفتي الديار ، مثل ضعف إيماني بالكنيسة الكاثوليكية .

٢٩ يناير

٠٠٠ دارت بيني وبين محمد عبده أحاديث عدة أخرى . ويقول إن عددا كبيرا من كبار الموظفين الانجليز هنا يجمعون المال بطرق غير مشروعة . وهو لا يؤيد كثيرا تدويل مصر ، ويتفق معي في ذلك ، لأن التدويل لايعنى أكثر من إحلال عصبة من الذئاب محل ذئب واحد . وهو يشعر بالمرارة إزاء كرومر ، الذي يعمل اليه برغم ذلك ، لانه لم يؤسس شيئا يعول عليه من الحكم الاهلى حين ينتهى الاحتلال - أى شيئا يمكن التعويل عليه في العمل على الأسس الحرة والشريفة . فقد نشر حالة عزل عامة للعنصر الوطني

والمستنير في البلاد ، والذين رقاهم في المناصب هم أولئك الذين كان لديهم أدنى حد من الاحترام لأنفسهم وكانوا بالتأكيد ممن يسهل التأثير عليهم .

١٥ فبراير

٠٠٠ كان محمد عبده في زيارتي في فترة ما بعد الظهر . وروى لي القصة الحقيقية للآزمة العسكرية في الخرطوم : فقد كان كتشنر مكروها منذ فترة طويلة من جانب الضباط المصريين الذين عاملهم طول الوقت معاملة سيئة ، وسمح للضباط الانجليز بالتعجرف عليهم وإهمال شكاواهم وكان يجبر القوات المصرية على القيام بالاعمال الشاقة ، دون أى شكر أو ثناء ، في حين شمل القوات السودانية بالعطف والتدليل . فلما ساءت الأحوال في رأس الرجاء الصالح (جنوب افريقيا) انزعج كتشنر وحاول منع أى أخبار عن الهزائم الانجليزية من الوصول الى السودان ، ولكنه لم يستطع ايقاف تسريبها ثم خشى أن تحدث حركة عصيان فأمر بنزع الذخيرة بحجة أنها قديمة ولا بد من تجديدها ، ولكن الكتائب السودانية رفضت تسليم الذخيرة القديمة حتى تسلم الجديدة ، وعندئذ ارتاب في الضباط المصريين وعزا اليهم تشجيع الرفض واعتقل بعضهم وفى خضم هذا كله استدعى كتشنر للذهاب الى جنوب افريقيا وعهد الى وينجت باصلاح الوضع وكان محبوبا أكثر من كتشنر ، بالرغم من أن الوضع لم تتم تسويته بعد .

ويقول لي عبده ان الفكرة الآن هي دعوة القوات التركية للحلول محل حاميتنا الانجليزية فى حالة إثارة الدول الأوروبية للمسألة المصرية . وهذا أقل ضررا من قدوم قوات فرنسية أو ايطالية ، مما سيكون معناه تدويل مصر . ومحمد عبده يعرف أن الموضوع نوقش بين الوزراء ومع اللورد كرومر وأنا أميل الى الأمل فى أن ينتهى الموضوع حقيقة على هذا النحو لأنه يبدو أنه لاتوجد فرصة

إمام أى جلاء فى مصلحة حكومة اهلية مصرية وعنده له رأى حسن فى كرومر كشخص . ولكنه يقول إن هناك عدداً من الأمور المريبة التى قام بها رؤوسه .

٩ نوفمبر

زارنى محمد عبده اليوم . وكان قد قابل الخديو الذى عاد من انجلترا فى غاية السرور من المعاملة المهذبة التى احاطته بها الملكة (فيكتوريا) وأمير ويلز والحكومة ، ولكن حدث ماسبق أن تنبأت به له . فلم يجر أى حديث حول أمور مصر السياسية ، بالرغم من الحديث الذى جرى حول الأمور السياسية فى القسطنطينية . وقد أرسل (الخديو) شكره لى مع عبده ، وقال انه كان ينوى الذهاب الى كرايت (بيت بلنت الريفى) بناء على دعوتى مالم يكن اعتلال صحته قد عاقه عن ذلك . وقد اثنى عليه محمد عبده لمقدرته على الظهور بالمظهر اللائق حين يريد كما فعل فى انجلترا ، ولكنه ذكر أنه (الخديو) التزم جانب الحذر الشديد بعد ذلك . فقد روى كل ماحدث له هناك لمحرر « المقطم » الذى يادر بنشره .

(عند هذا الحد ينتهى ذكر محمد عبده فى الجزء الأول من يوميات صديقه بلنت . كما ينتهى الجزء نفسه بعد قليل بانتهاء القرن التاسع عشر . ومن الواضح فيما مر بنا من يوميات أن العلاقة بين الصديقين قد توطدت كثيراً خلال تلك الفترة ، بعد عودة عبده من منفاه ، وأن علاقة عبده بالخديو وكرومر وغيرهما من أولى الأمر قد توطدت بدورها وأهله لتولى منصب الافتاء الذى شغله حتى وفاته . وكان بلنت خلال تلك الفترة دائم الرجوع الى صديقه فى كل مايتعلق بتسجيل الأحداث وتطوراتها . وقد شهدت أشهر الصيف من ذلك العام الأول فى هذا القرن بعض الأحداث التى لم يشهدها بلنت بسبب تغييه فى لندن ، ومنها ماسماه هو :

بقضية صيد الثعالب . وملخصها أن بعض الضباط الانجليز قاموا بمطاردة الثعالب واصطيادها فى المنطقة المحيطة ببيته فى عين شمس فتعرض لهم خفراؤه الخصوصيون واشتبكوا معهم . وكانت النتيجة اعتقال هؤلاء الخفراء . ولما علم بلنت بالحادث احتج عليه لدى حكومة بلاده التى نصحته بترك الأمر للقانون . ومن أحداث ذلك الصيف أيضا سفر صديقه عبده الى سويسرا لعقد قران احدى الاميرات المصريات . ولكن أهم حدث فى الحقيقة كان عودة عرابى وزملائه من المنفى بعد مايقرب من ٢٠ عاما . وكان من الطبيعى أن تشغل هذه الأحداث الصديقين عند لقائهما فى القاهرة بعد عودة بلنت .

لقد بدأ القرن العشرون وقد تجاوز الصديقان سن البستين ، وهدم الدهر كثيرا من آمالهما ، ولكن بقى لهما ذلك الحنين المشترك الى الماضى والذكريات الكثيرة الحافلة)

٢٤ أكتوبر ١٩٠١

قضيت اليوم فى « الشيخ عبيد » وجاعنى محمد عبده فأمضينا معا فترة الصباح . يقول لى أنه أثار على نفسه غضب الخديو بسبب قيامه بعقد قران احدى اميرات الاسرة الخديوية فى سويسرا خلال هذا الصيف . وكان الخديو قد أذن بهذا الزواج ولكنه اعتزم التنصل منه . ثم ناقشنا قضية صيد الثعالب . وهو يؤكد لى أنها لا تتضمن مجرد خرق القانون فحسب وانما تتضمن أيضا العدوان على الشرعية من جانب السلطات الانجليزية . ثم تحدثنا عن عودة عرابى . ولكن محمد عبده يلومه على اتصاله بالصحف والتصريح لها بأن كل ماقام به الانجليز فى مصر خير ، دون أن ينتظر حتى يتأكد من الوضع الحقيقى للأمور . وقد أوقعه ذلك فى مشكلة مع المسئولين المصريين الذين قابلوا تصريحه

بالتجاهل ، بالرغم من أن عامة الناس مازالت متعلقة به ، فالأولاد يتبعونه فى الشوارع صائحين : « الله ينصرك يا عربى » وحين يذهب الى المسجد للصلاة يأتى اليه الفقراء ويقبلون يديه . وعنده غير راض عن هذا ، ولم يذهب لزيارته ، ولكنى اعتقد أننى حثثته على الاستفادة من شعبية الرجل ، ووعدنى بمقابلته عند مجيئه الى بيتى . وأنا ممن يؤيدون رأى القائل بإمكان الاستفادة من عربى على نحو مثمر فى قضية حرية مصر ، وإن كانت شعبيته عند العامة تثير دائما الغيرة فى نفوس الأغنياء .

٢٦ أكتوبر

جاء عربى اليوم على الغداء بصحبة على فهمى وصديقهما الطبيب . ومازال عربى متمتعا بصحته وعافيته ، تبدو لحيته البيضاء لائقة عليه تماما . وقد وجدته بسيطا ، ودودا ، شديد الشكر لجميلى . ويبدو أن برقية تهنئتى التى تسلمها فى ٢٣ مايو كانت أول خبر يتلقاه (فى سيلان) عن اطلاق سراحه والعفو عنه اللذين لم يبلغا اليه رسميا قبل السادس والعشرين . وقد تبادلت معه حديثا طويلا حول الموقف الذى يجب عليه اتخاذ ازاء الشؤون السياسية ، وسرنى اننى وجدته يحمل آراء محددة . ولكنى اعتقد أنه واثق أكثر من اللازم فى النوايا الانجليزية الحسنة بعد أن لم يلق فى منفاه سوى المعاملة الكريمة . وله الحق فى أن يكون شاكرا للجميل . وفيما عدا ذلك فرائيه لا يختلف كثيرا عن رأى أو رأى عبده . وقد نصحته بأن يقنع بما صرح به على الملأ (فى الصحف) وأن يقابل الخديو اذا وافق الأخير على استقباله ، وكذلك اللورد كرومر . انه يتمتع بقسط كبير من العزة والصراحة والصدق بحيث يفيد حضوره الشخصى كثيرا . ثم جاء محمد عبده فتعانقا وراحا يتحدثان حتى أظف موعد الغداء ، بل استمرا

يتحدثان على الطعام وبعده لمدة ساعة أو أكثر ، وهما يتذاكران التجارب الماضية ويتناقشان حول رجال العصر . وكان اللقاء ناجحا للغاية ، أثر فى كل منا من نواح عدة فى الحقيقة .
(غادر بلنت مصر بعد ذلك فى ٣٠ ديسمبر ثم عاد مرة أخرى بعد نحو عام ، وعاد ذكر محمد عبده)

٤ ديسمبر ١٩٠٢

وصلنا الى الاسكندرية عند الفجر ... ووصلنا الى البيت قبل مغيب الشمس بساعة كاملة ، ووجدنا فى انتظارنا على محطة القاهرة حمودة عبده (شقيق محمد عبده) الذى نال رتبة البكوية وقتذاك . أما أخوه المفتى فقد سافر الى أسوان ، قبيل وصولنا لحضور افتتاح خزان النيل الكبير .

١٩ ديسمبر

جاء مفتى الديار وجلسنا نتحدث هذا الصباح لمدة ساعتين وكان قد ارسل لى كتاب « فتح العرب لمصر » من تأليف بتلر الذى تلقاه هدية . ورحت أشرح له محتويات الكتاب لأنه لا يقر الانجليزية ومن رأيه أن نظرية بتلر عن المقوقس وانطباقه على سايروس الملخى بطريك الاسكندرية عاطلة من الصحة . ويقول إن المؤكد أن المقوقس كان قبطيا وحاكما على مدينة ممفيس ، وأنه وسواد القبط أيدوا الفتح العربى الذى خلصهم من طغيان الرومان . فإذا لم يكن هذا صحيحا فكيف استطاع الاقباط الحصول على تلك الشروط المجزية من عمرو (بن العاص) والتمتع بالحرية والحكم الذاتى اللذين تمتعوا بهما طوال قرون عدة بعد ذلك ؟ ولم يتعرض الاقباط للاضطهاد إلا مع الحروب الصليبية ، ولا سيما حملة القديس لويس (الملك لويس التاسع

الفرنسى) على مصر ، حين أعلنوا تأييدهم للغزاة . ثم تحدثنا أيضا عن الشؤون المعاصرة فى القسطنطينية . والخديو الآن على خصام مع السلطان بعد أن استقبله الأخير هذا الصيف استقبالا فاترا . فقد رفض عبد الحميد أن يستقبله على الاطلاق مالم يعد بعدم ذكر مسألة (جزيرة) ثاسوس . وهذه هى مسألة ثاسوس : لقد أساء الخديو تصريف الأمور فى هذه الجزيرة التى يملكها بالرغم من أنها ليست قطعة من مصر . وبلغ من سوء تصريفه أنه فرض على أهل الجزيرة الضرائب والرسوم الجمركية على الاستيراد حتى شكوه الى السلطان الذى اتخذ الشكوى ذريعة لارسال قواته الى هناك فى صورة حامية . وكان الخديو يطلب باجلاء الحامية ، ولكنه لم يتمكن من عرض دعواه فى القصر .

وعباس واقع الآن تحت تأثير سيدة مجرية أصبحت عشيقته . وكانت بصحبته عند وقوع حادثة سيارته منذ اسابيع . فقد ضل طريقه وهو عائد ليلا من الدار البيضاء وغاصت عجلات السيارة فى الرمال . ورفض الخفراء مساعدته فحكم عليهم بالاشغال الشاقة لمدة أسبوع ، ووصل الخبر الى الوكالة البريطانية (المعتمد البريطانى) حيث تسبب فى نزاع نشب هناك ضده . كما تحدثنا عن مدحت باشا (والى سوريا السابق وأحد زعماء تركيا الذين سجنهم السلطان) ووفاة السلطان عبد العزيز . ويؤكد عبده الرواية التى ذكرها لى الدكتور ديكسون (طبيب السلطان) عام ١٨٨٤ ومؤداها أن الوفاة كانت انتحارا مؤكدا ولم تكن طبيعية . ويروى لى أيضا كيف تم تجويع مدحت حتى الموت فى سجنه بمدينة الطائف . فقد قدموا له خبزا جافا بلغ من جفافه أن الرجل العجوز كسر أسنانه وهو يحاول تناوله ، ولم يسمحوا له بأى راحة من أى نوع ، لقضاء حاجته ، فى زنزانته ، حتى أسلم الروح من سوء المعاملة ، ثم جزوا رأسه وأرسلوه الى القسطنطينية . أما عبد الحميد فقد قال عنه عبده انه أكبر « مجرم » على قيد الحياة ،

وهذه كلمة شديدة ليس من اللائق أن يستخدمها مفت للديار فى وصف خليفته .

٢٢ ديسمبر

(روى بلنت أن صحيفة عربية فى القاهرة نشرت قصة مختلفة عنه ، وكيف أنه أيرلندى المولد يكره انجلترا بالوراثة ، لم يكن على ثراء ولكنه تزوج ابنة لورد انجليزى كبير بشرط أن ينتقم لأبيها الذى اغتيل وهو ينتقل فى أنحاء الدولة العلية ، وترك أربعة ملايين جنيه ففرضت ابنته ذلك الشرط على خطابها ، حتى تقدم لها بلنت ووافقت عليه . ومنذ ذلك اليوم تزوجا وكرس هو حياته من أجل القضاء على الامبراطورية العثمانية عن طريق اثاره العرب لاعلان الخلافة العربية واستعادتها من الترك .

الخديو يكيد له واللورد يرضى عنه

لم تكف الصحيفة - التي لم يذكر بلنت اسمها - بهذه القصة المختلفة عن حياته ، وانما زادت عليها أنه تسبب في حالة الفتور القائمة وقتها بين السلطان والخديو عن طريق الدسائس ، وأنه تسبب أيضا في الحرب الدائرة وقتذاك بين ابن رشيد (النجدي) ومبارك شيخ الكويت . وذكرت الصحيفة أن بلنت زود الأخير بالسلاح والعتاد . ويبدو أن القصة كلها من تدبير السلطات الانجليزية التي كان يهمها الايقاع بين الوطنيين وبلنت ومع ذلك لم يشر بلنت الى أنه سيقوم بتكذيب القصة ، ولكنه أشار الى أنه تحدث عنها مع صديقه الوفي محمد عبده :

« ناقشت الموضوع مع محمد عبده الذي اقترح على أن أجعل هذه القصة فرصة لنشر القصة الكاملة - بالعربية - لاتصالى بشئون مصر سنتي ١٨٨١ - ٨٢ . »

(ومن هذا الاقتراح - كما يقول بلنت بين قوسين - نما العمل الذي شغله طوال شتاء ذلك العام (١٩٠٢) بالاشتراك مع المفتي ، ونشر في طبعته الأولى بعد خمس سنوات تحت عنوان « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزي في مصر »)

اول يناير ١٩٠٣

احتفلنا بالسنة الجديدة التي وافق مطلعها اليوم الثاني من شهر

شعبان ، بتناول الغداء مع المفتى ، وتحدثنا عن أيام الماضى السياسية سنة ١٨٨٢ .

(فى ٢٢ يناير روى بلنت أن ادوارد براون الأستاذ بجامعة كيمبردج والمستشرق المعروف زاره فى بيته ومعه رسالة توصية من ألفرد ليال صديق بلنت وأحد كبار المسئولين الانجليز فى الهند . وقد أبدى بلنت إعجابه ببراون ووصفه بالذكاء كمستشرق يجيد الفارسية والتركية والعربية . وقال أنه يتردد على محاضرات محمد عبده عن القرآن فى الأزهر . وفى ٣٠ يناير كتب بلنت أن محمود سامى البارودى زاره بصحبة محمد عبده ولم يكن قد راه منذ زيارته للمنفيين فى سيلان قبل ١٩ سنة . وكان قد كف بصره تقريبا لا يكتشف طريقه بغير أن يقوده أحد من يده . وفى ٨ فبراير كتب أن حمودة عبده روى له أنه دعى مؤخرا الى حفل راقص عند الخديو فرأى هناك نساء عاريات ، فاشمأزت نفسه من ترك رجالهن لهن هكذا ، فقد كن عاريات الصدور حتى الخصر . ولما سأل عن حقيقتهن قيل له انهن زوجات المسئولين الانجليز ، ومن هؤلاء قاضى محكمة الاستئناف الذى ترافع امامه حمودة كثيرا وقد رأى القاضى نفسه والخديو أيضا يراقصان النساء ، فشعر بالخجل واضطر الى الانصراف بعد أن شاهد الخديو يشرب الخمر التى كانت تدار على الحاضرين . وقال ان الخديو اذن لحريمه بالتفرج على مابودر من وراء الستائر . وعلق بلنت على هذا كله بقوله : « يا صديقى العزيز لعلك لا تدري أن هذه طريقتنا فى تحضير الشرق . انتظر عشرين سنة أخرى تر كل قضاة مصر ، ومنهم أخوك المفتى ، يراقصون النساء العاريات أكثر من ذلك . ومن يدرى . ربما يذهبون الى هذه الحفلات ورؤوسهم عارية »

١٦ يناير

أمضى محمد عبده ساعة معنا روى لنا خلالها تاريخ سنة ١٨٨٢ ... وبعدها سألت المفتى عن السبب الحقيقى لمذبحة ١١

يونيو في الاسكندرية فقال : « انه الخديو وعمر لطفى (محافظ المدينة) بدون أدنى شك » ولما سألته عن الكيفية التي عرف بها هذا السبب قال :

« ذهبت الى الاسكندرية فى اليوم التالى للمذبحة . وهناك اتيج لى الاطلاع على البرقية التى بعث بها الخديو الى عمر لطفى . وكان نصها : « عرابى ضمن الأمان للأوربيين ، ولك أن تختار بين خدمتى وخدمته »

وقد كان عبذه مهياً لمثل هذه المعرفة . فقبل اسبوعين من وقوع المذبحة نشرت صحيفة تدعى « المحروسة » ، كان يحررها أحد الشوام المسيحيين ، مقالة تضمنت اشارة الى أن اليونانيين فى الاسكندرية يتسلحون بالاسلحة . وحذرت المقالة المسلمين بأنهم اذا فكروا فى قتل المسيحيين فإن المسيحيين أيضا ينوون قتلهم . وبسبب ذلك اضطر عبده ، بصفته مديراً رسمياً للمطبوعات ، الى ايقاف صحيفة « المحروسة » على أساس أنها تشكل خطراً على الأمن العام .

لقد تم تدبير حوادث الشغب على الوجه التالى :

قام الخديو باستدعاء أمبرويزى سينادينو الذى كان على علاقة حميمة به ، وكلفه بتقديم المال لتسليح اليونانيين فى الاسكندرية . وقام عمر لطفى من جانبه باصدار التعليمات لحكماء الشرطة الذى تولى تحريض المشاغبين والاشتراك مع رجاله فى حوادث القتل . أما الجيش النظامى فلم يتم استدعاؤه للتدخل الا بعد استفحال القتل . وقد تم الاستدعاء شفوياً فى البداية . ولما استفحل الأمر ، وساء الموقف ، صدرت التعليمات بالتدخل كتابة فى النهاية . ولا يوجد أدنى شك فى أن حوادث الشغب كانت مدبرة . وقد سألت عبده عما اذا كان الانجليز فى ظنه قد علموا بها قبل وقوعها فقال إن أحدا منهم لم يعلم بذلك ، حتى ماليت (القنصل) نفسه . وقد كان الأخير (فى رأيه) رجلاً شهماً ، حاول بكل ما فى وسعه أن يهدىء الأمور ويحفظ النظام القائم . ولكن من المؤكد أن القنصل

الانجليزى قد عرف الحقيقة فى اليوم التالى ، فور العثور على جثث
المسيحيين الذين تخفوا فى ثياب المسلمين ، ولم تظهر آثار طعنات
حرا ب بنادق الشرطة الا على بعض الجثث . وهذا هو السبب فى
ايقاف التحقيق وعدم المضى فيه . ومع ذلك كان عمر لطفى المدير
الرئيسى للحوادث .

لقد حذر عبده عرابى ، ونصحه بالتخلص من عمر لطفى قبل
فترة طويلة على أساس أنه شخص لا يمكن الوثوق به وأنه قد يقوم
بعمل شائن فى الاسكندرية ، ولكن عرابى لم يسمع للنصيحة . فقد
كان عرابى ساذجا جدا وعنيذا جدا ، يصدق كل من يصفه بأنه
رجل عظيم ويثق به . وقد اعترض عبده ذات مرة على موقفه من
الخدو ، وقال له ان عليه اما أن يحافظ على الود معه ، وان يضعه
دائما تحت تأثيره ، واما أن يقطع رأسه . ولكن عرابى لم يفعل هذه
ولا تلك . بل انه فقد صوابه تماما فى الاسكندرية . وقد سافر عبده
الى هناك اثناء قصف المدينة فوجد كل شىء فى حالة متوحشة من
الفوضى ، ووجد عرابى عاجزا عن توجيه أو اقرار مايجب عمله ،
كما وجد جميع الجنود والمدنيين ، سواء بسواء ، فى حالة من
الفرع فقدوا معها صوابهم . وقد كان من الواجب وقتها أن يقبض
على الخديو ، وأن يرسل الى القاهرة أسيرا . ولكنه بدلا من ذلك
سمح له بالفرار الى الاسطول الانجليزى .

وقد سألت عبده عما اذا كان يعتقد أن الجراكسة الذين اعتقلهم
عرابى قد عذبوا فى السجن فأجاب : « كلا ، ولكنهم عوملوا معاملة
خشنة »

(هذه اليومية - ١٦ يناير - أوردها بلنت فى ملاحق الطبعة
الثانية من كتابه المشهور « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى
لمصر » ولم ترد فى سياق يومياته العادية التى ظهرت بعد ذلك .
وقد عقب على ايرادها بأنه راجع موضوعها فى ٩ مارس ١٩٠٥ مع
الشيخ محمد عبده ، وحقق معه الموضوع مرة أخرى حتى
استوفاه . وأضاف بلنت أن اصرار محمد عبده على اتهام الخديو

وعمر لطفي بتدبير الشعب في الاسكندرية قبل قصفها هو الذي دفعه - أى بلنت - الى الاقتناع بها ، وأن الشيخ مسئول عن كل كلمة كتبها هو - بلنت - عن الموضوع .

ومن الملاحظ على هذه اليومية ، عدا تورط الخديو وعمر لطفي ، أن بلنت يفرق دائما بين المسيحيين والأقباط . فالمسيحيون في كتاباته هم الاوربيون أو رعايا الدول الاوربية بما في ذلك الشوام . أما الاقباط فكانوا وقتها متحدّين مع المسلمين في مصر لدرجة أن بلنت كان يكتفى بذكرهم ضمن المسلمين ، ويعنى بالمسلمين المصريين . ومن الملاحظ أيضا أن كل ماورد في هذه اليومية من تعبير عما حدث في مذبحة الاسكندرية يرجع اولا وأخيرا الى محمد عبده ، بما في ذلك أحكامه على عرابي .

وبعد هذه اليومية نستطيع أن نمضي مع السياق المتصل الذي قطعناه ، وأن نصل تسلسل اليوميات بعد ذلك حتى آخر عام (١٩٠٣ .)

٢٥ فبراير

نزلت الى القاهرة لأول مرة هذا الشتاء لمقابلة الخديو ... (وبعد أن حدثه الخديو حول عدد من الأمور :) استطرد فشكا من جحود محمد عبده لاستمراره في مصادقة رجل يدعى رشيد (المقصود محمد رشيد رضا تلميذ عبده ومحرر مجلة « المنار » الذي هاجم الخديو في إحدى مقالاته) كان قد أخطأ في حقه . وقد دافعت عن المفتي حول هذه النقطة وهدأت من غضب الخديو .

٢٦ فبراير

تغديت عند المفتي حيث وجدت هناك الأستاذ براون أيضا . ومن المدهش أن براون يتحدث الآن العربية بطلاقة مع أنه لم

يعرفها الا كباحث دون أن يتحدث بها من قبل حين جاء الى هنا منذ شهرين . وكان يحضر دروس المفتى فى الأزهر ، ويقول لى انها دروس مثيرة للاعجاب وجريئة جدا ، وأنه (المفتى) حاضر البديهة فى الرد على الاعتراضات التى يوجهها اليه المفسرون التقليديون للقرآن . ثم تحدثت الى المفتى حول شكوى الخديو منه وسوف يكتب الى سموه ويشرح له الخطأ . فالصلاح بينهما فى غاية الضرورة بالنسبة للمصالح العامة . وهما قادران بالتعاون فيما بينهما على احداث تأثير كبير ، والخلاف بينهما يحدد كلاً منهما ويفقده نفوذه .

٦ مارس

حضر محمد عبده ومعه الشيخ رشيد الذى تسبب فى غضب الخديو ، ويبدو رجلاً محترماً . وكان بصحبتهما حافظ ابراهيم ، وهو شاعر فلاح ، تناقشنا معه حول المعلقة . وقد اتفق الثلاثة على أن افضل الشعر العربى ليس شعر الجاهلية ، وانما شعر القرن الثانى للهجرة . وهذا مخالف تماماً لأفكارنا الانجليزية ، ولكن مقياس الجودة عند الأذان العربية مختلف عن مقياس الجودة عندنا . فما يعجب المثقفين هنا فى الشعر هو الوزن وليس معنى الشعر . وهم لا يهتمون كثيراً بمظاهر السذاجة والبساطة عند شعراء ما قبل الاسلام ويعدونها من قبيل العيوب ليس غير ، ولا يستطيعون ادراك أية قيمة على الاطلاق فى ملحمة أبى زيد (الهاللى) وقد ادركت أن هؤلاء الرجال الثلاثة لم يرضوا عنى بسبب اعجابى بها .

(عاد بلنت الى انجلترا بعد ذلك ووصل الى لندن فى ٦ ابريل ، أى بعد شهر على التحديد من آخر لقاء له مع محمد عبده فى مصر . وقد حدث أن سافر عبده نفسه فى صيف ذلك العام الى انجلترا . ففى أغسطس ١٩٠٣ وصل محمد عبده الى لندن فى

ثانى زيارة له بقصد مقابلة الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر .
(وكتب بلنت :)

٦ أغسطس

نيوبيلدنجز (بيت بلنت الريفى الآخر) وصل محمد عبده أمس
من مصر مع شقيقه حمودة ، وأوصلتهما اليوم الى كرابيت (بيته
الريفى الآخر حيث يحتفظ بخيوله) ومنه الى نيوبيلدنجز ... وجلس
محمد عبده معى فى مقصورة العربى التى جرتها خيولى العربية
الأربعة ، ودار بيننا حديث طويل حول الشؤون المصرية .

٩ أغسطس

الأحد . أمضيت وقتا لطيفا مع المفتى خلال الأيام القليلة
الماضية . وجرى بيننا اليوم ونحن نتمشى فى غابة نيوبيلدنجز
حديث طويل عن الدين . سألته بوجه خاص عن عقيدته فى الملائكة
والأرواح . ومع أنه لا ينكر وجودها فقد قال : « لم يحدث أن رأها
أحد ، وليس من الممكن معرفة أى شىء عنها . أما الله فممن
المستحيل أيضا أن يعرف عنه أحد شيئا . وسألته عن الحياة
الآخرة فقال انه يؤمن بها وأنها تضم دارين : دار للسعادة وأخرى
للشقاء . ولكنه لا يعرف على أى نحو سيكون ذلك . وهو لا يؤمن
بالعقاب الأبدى . ثم تحدثنا أيضا عن حوادث ١٨٨٢ . وتصفح
الأوراق التى تتصل بمحاكمة عرابى وحثنى بشدة على نشر تاريخ
لتلك الفترة . ومع ذلك فالصعوبة التى تواجهنى هى أن أهم
مستنداتى وخطاباتى كتبها أشخاص مازالوا على قيد الحياة . وقد
يعترضون على نشرها فى حين أنه بدونها سيكون من المستحيل
تعرية دسائسنا الانجليزية بطريقة لا يمكن دحضها . ولا يوجد فى
هذه الرسائل شىء شخصي ، فكلها مستندات تاريخية صرفة ،

ولابد أن ترى النور يوما ما ، ويجب أن يكون ذلك اليوم قريبا . ثم ناقشنا فى النهاية الحالة الجاضرة للعدالة فى مصر التى طلب منى محرر صحيفة « المانشستر جارديان » أن أطلععه على معلومات عنها . وأعتقد اننى سأقدر الآن على تلبية طلبه بمساعدة المفتى .

١٠ أغسطس

ذهبت مع عبده الى (مدينة) برايتون (المطلة على القنال الانجليزى جنوب لندن والواقعة فى مقاطعة سكس التى يعيش بها بلنت) لمقابلة هيربرت سبنسر الذى جاء عبده الى انجلترا خصيصا لزيارته ، وهو يعده فيلسوفا عظيما ، ترجم الى العربية كتابه عن التربية . وكان سبنسر قد أرسل عربته وسكرتيه المستر تراوتون لاستقبالنا على محطة برايتون . ووجدنا الرجل العجوز (٨٣ سنة وقتذاك) فى فراشه بغرفة مكتبه الخلفية فى برسيغال تيراس (بيته) حيث كان طريح فراشه منذ شهر ابريل . ولم تؤثر النوبة التى اصابته وقتها فى حالته العقلية . فقد وجدناه واضح الافكار قوى الصوت ، ولكنه كان نحيفا للغاية ، يده مجرد هيكل عظمى . استقبلنا لفترة قصيرة قبل الغداء . ثم استأنفنا حديثنا معه فى الثالثة (بعد الظهر) وحاول فى البداية أن يتحدث بالفرنسية ولكن بتعمد شديد ويحث عن الالفاظ ، ولكن سرعان ما انتقل الحديث الى الانجليزية التى رحت أترجمها لعبده . وقد أخذ سبنسر يشكو من اختفاء « الحق » من ساحة السياسة الحديثة فى أوروبا ، واستنكر حرب الترنسفال (جنوب افريقيا) وعدّها اعتداء صارخا على الانسانية وقال : « سيأتى على العالم عهد من القوة ، وستنشأ مرة أخرى حرب عامة من أجل السيادة تستخدم فيها كل ألوان الوحشية »

وفى زيارة فترة العصر انتقل الحديث الى الفلسفة وسأل المفتى : هل صحيح أن الفكر فى الشرق يتطور على ذات الأسس

التي يتطور عليها الفكر في أوروبا ؟ ورد محمد عبده بأن ماتعلمه الشرق من الغرب شره أكثر من خيره ، ولكن مازال أفضل الفكر وأكثره استنارة واحدا عند الاثنين (الشرق والغرب) وقال سبنسر : اذا تعمقنا الأمور فأنى أزعج أن مفهوم القوة الأساسية في العالم ، أو ماتسمونه الله ونسميه الآله ، ليس شديد الاختلاف . وكان رد المفتي على ذلك يحمل تميزاً عبده سبنسر جديداً . فقد قال عبده أن الله موجود لا شخص . وسر سبنسر لهذا ، ولكنه قال أن هذا التمييز مازال صعباً على الإدراك ، ثم أضاف : « من الواضح على أى حال ، أنكم لا أدريون من نوع اللاادرية في أوروبا ^(١) ولم يكن أمامنا متسع من الوقت للمضى في هذه السلسلة من الأفكار ، لأن سبنسر لم يكن مسموحاً له بالكلام في كل مرة أكثر من بضع دقائق . ولكنى رحمت استجوب المفتي حول هذه النقطة ونحن في طريقنا بعد ذلك الى المحطة

قلت : هل تعتقد أن الله له وعى ، وأنه يعرف أنى موجود وأنك موجود ؟ أوليست هذه المعرفة دليلاً على أنه شخص ؟

قال : نعم . هو يعرف .

قلت : اذا كان يعرف فهل يعرف انك صالح وأنى طالح ؟ ووافق عبده على ذلك .

قلت : وهل هو يرضى عنك وعنى ؟

قال : قد يرضى وقد لا يرضى .

قلت : يرضى اليوم لأن أعمالك صالحة ولا يرضى غداً لأن أعمالك أصبحت طالحة ؟ أليس هذا التغير من الرضا الى عدم الرضا أمراً يميز الشخص ؟ كيف اذن لا يكون شخصاً ؟

قال : إن الله عليم بكل شيء في كل زمان . ولا يوجد عنده اليوم

(١) اللاادرية : مذهب فلسفى أوروبى يقوم على معرفة الله عن طريق الحواس ولا يعتد بما يخرج عن نطاقها .

والغد . ومن ثمة لا يوجد عنده تغير وتبدل . ووعيه بكل شيء أزلى غير متغير . وهذا ما أسميه الموجود لا الشخصى

قلت : والمادة ؟ ليست المادة أزلية أيضا أم هي من خلق الله ؟ وهل اذا كان قد خلقها أفلا يعنى هذا أنها تتغير ؟ قال : المادة أيضا أزلية كما أن الله أزلى .

وهنا يتضح أساس تفكير عبده وقد اتفقنا على أن أفكارنا واحدة من هذه الناحية ... ثم ذهبنا الى لندن حيث لحق بنا على العشاء فى تشابل ستريت (بيت بلنت) الأستاذ براون وكوكرل . ومن المقرر أن يسافر عبده غدا الى (مدينة) أوكسفورد ، ويوم الاربعاء الى (مدينة) كيمبردج . وقد كان الجو بديعا طوال فترة زيارتهما (عبده وأخوه) واقامتهما فى نيوبيلدنجز .

(لقد روى محمد رشيد رضا خبر زيارة استاذہ محمد عبده لسبنسر^(١) الذى مات بعد خمسة أشهر ، وذكر أن عبده ترجم لسبنسر كتابه « التربية » أثناء تعلمه الفرنسية لأجل التمرن على الترجمة ، وأنه عرض ماترجمه على قاسم أمين الذى استحسنت الترجمة^(٢) وكان قاسم يجيد الفرنسية بحكم تعليمه وثقافته . غير أن الحوار الذى أجراه بلنت مع عبده حول الألوهية يبدو فى الحقيقة مقتضبا وغير واضح . ويبدو أيضا أن سبب ذلك يرجع الى أن بلنت كتبه من ذاكرته - فى الغالب - وأجمله . ومع ذلك لم ير بلنت صديقه بعد مغادرته لندن الى أوكسفورد وكيمبردج . وانتظر حتى عاد الى مصر فى ١٢ نوفمبر . وجاءه عبده ليلة وصوله الى القاهرة فاتصل بينهما حبل الحديث عن رحلة عبده الى انجلترا ، وهى رحلة لم تستغرق طويلا على أى حال)

(١) راجع : تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ، ط ١ ، ص ٨٦٦ - ٦٥٩

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٣٤

فى ذلك المساء نفسه جاءنا الشيخ محمد عبده ، وروى لنا القصة الكاملة لمغامراته بعد أن غادر نيويورك لنجس . ففى أوكسفورد وجد عددا من المخطوطات العربية التى لا يعرفها أحد فى الأزهر الا بالاسم . ومن بينها مراسلات بين فيلسوف عربى يدعى El Sebain (أو السباين ، والاسم مجهول فى الحقيقة على الأقل كما كتبه بلنت) وفردريك الأكبر (ملك بروسيا فى القرن الثامن عشر ، وربما يكون المقصود فردريك آخر فهناك ثلاثة ملوك أوريبيين بهذا الاسم) وبنوى عبده تكليف من ينسخ عددا من هذه المخطوطات بتمويل من وزارة الأوقاف . وقد ذهب من إنجلترا الى سويسرا ، ومنها الى الجزائر وتونس . ورسم صورة محرنة للأحوال فى شمال أفريقيا الفرنسى اذا قورنت بما سماعه معاناة أهالى مصر تحت سيطرة الانجليز ، وهى صورة أشبه بمقارنة الظلام بالنور . ففى الجزائر يوجه الحكم كله من أجل مصالح المستعمرين الأوربيين على حساب الأهالى . وهؤلاء محرومون تقريبا من أى حماية شرعية ولا يتمتعون بأى حرية على الإطلاق . فلا توجد هناك حرية صحافة ولا حرية رأى ، والتجسس أسوأ مما فى القسطنطينية ، والأحوال فى الجزائر ليست أفضل من الأحوال فى تونس . وقد اقترح عليه البعض فى تونس أن يطلب مقابلة الباي ، ولكن قنصل النمسا العام أبلغه أنه لا بد أن يطلب أذنا أولا من المقيم الفرنسى الذى سيبحث رجلا فرنسيا لحضور المقابلة . وقال له المسلمون فى تونس : « إن صحفكم فى مصر تشكو من تعاسة حظها فى ظل الانجليز ، ولكننا لا نطلب من الله الا أن يهبنا خمس سنوات من نظامكم على سبيل الراحة من جحيم النظام عندنا »

ذكر لى المفتى هذه التفصيلات لأننى قرأت فى صحيفة

« الفيجارو » (الفرنسية) أنه عبر لها عن رضاه التام عن أحوال
أخوانه المسلمين فى ظل الحكم الفرنسى . ولكن مارواه لنا يتفق
مع كل ماسمعته من جهات أخرى عن تونس ، وما أذكره عن
الجزائر فى زيارتى لها سنة ١٨٧٣ .

(يستطرد بلفت بعد ذلك مباشرة الى المقارنة بين الاحتلال
الانجليزى والاحتلال الفرنسى فى تعاملهما مع الاهالى . ويجد أن
الانجليز فى مصر لم يحولوا البلاد الى مستعمرة من الناحية
العملية ، وأن الادارة الانجليزية فى مصر مدنية تقريبا تخضع
للنقد فى صحف انجلترا وبرلمانها على العكس تماما مما يحدث فى
شمال أفريقيا تحت الاحتلال الفرنسى . ثم يعود الى محمد
عبده :)

وأخيرا روى لنا المفتى آخر تصرفات الخديو . فهو الآن قد
انصرف كلية الى جمع المال والمضاربات واتفق مع كاسل صديق
الملك (الانجليزى) على اقراضه نصف مليون استرلينى
لاستثمارها بدون فائدة فى مشروعات مختلفة ، وهو يخطط لمشروع
مبان فى الجيزة يجرى التفاوض على استبدال أرض له مع وزارة
الأوقاف بحيث يستفيد الخديو من عملية الاستبدال كلها . ومع ذلك
فعبده يعترض - بصفته المفتى - على هذه العمليات ولن يسمح
بأى احتيال على المال العام . وقد قابل الخديو مؤخرا ، وتظاهر
الأخير أمامه بالود ، ولكن محمد عبده يعرف أنه يدبر الدسائس
لخلعه من منصب المفتى . والخديو لن يتسامح مع أى شخص لا
يعمل له حسابا .

٢٣ نوفمبر

أرسلت أمس الطبعة الفرنسية من كتابنا « رحلة الى نجد »
(ألفه مع زوجته) الى محمد عبده حتى يجد مايسليه فى شهر
رمضان ، ثم جاعنى هو نفسه بعدها . ولما تطرق الحديث الى

مدحت باشا (والى سوريا السابق) الذى قدمت قصته من قبل ، قال لى انه لم يعجب به على الاطلاق بالرغم من عطفه على قضية الدستور فى القسطنطينية التى تولى مدحت بطولتها . وأضاف أنه كان رجلا مندفعاً لا يعرف الحذر ، ولا سيما مع كؤوسه ، لأنه اعتاد الشراب ، وكان هذا سر سقوطه . وعندما كان واليا فى دمشق حضر ذات يوم مأدبة عشاء بمدينة طرابلس (اللبنانية) وألقى خطابا وصف فيه نفسه بأنه محطم ملكين ، مشيرا بذلك الى السلطان عبد العزيز والسلطان مراد . ونقل الخبر الى السلطان فكان سببا فى تحقير مدحت . أما من ناحية كونه مصلحا فقد كان ضحلا ومتأوريا بأسنوا معنى . ومع ذلك كان سقوطه سنوء حظ حقيقيا وكانت نهايته مأساة حقيقية .

وقد قابل محمد عبده الخديو مرة أخرى وروى له الأخير القصة الكاملة لإخلافه موعده معنا فى كرايبث (بيت بلنت الريفى الآخر) فى الصيف . وكان السبب هو نفسه ماتوقعته . فحين اقترحت الزيارة فى البداية لم يقم أى اعتراض من جانب الانجليز الذين أوكل اليهم رعاية الخديو اثناء اقامته فى انجلترا ، ولكن حدث فى صباح الأحد ذاته الذى استعد فيه لبدء التحرك نحو كرايبث أن جاءه كاسل الذى كان مضيفه باسم الملك فى لندن فحدثه عن زيارتى ، وقال انها تسمى الى الملك وستفسر عند البلاط بمعنى أنه لم يرض عن استقبال الملك له . وقال له كاسل بالحرف الواحد : « لست أقول انه يجب ألا تذهب ، ولكنك اذا فعلت فسوف يفسر ذهابك بهذا المعنى » وقد بعث الخديو بهذا التفسير كرسالة الى عن طريق المفتى ، ولكن بغير غرض النشر . وهو يرجونى أن اذهب لمقابلته كالمعتاد ، ولكنى لن أفعل . وقد أبلغت عبده بأن ينقل اليه أنه مادام الملك قد أمره بالأى يرانى ، ومادام هو قد اطأخ فانا ، بصفتى من رعايا الملك ، مازلت أكثر امتثالا للطاعة .

٢ ديسمبر

جاء المفتى اليوم وروى قصة مايدور فى الدوائر العليا فى مسألة الاصلاح القضائى . وقد قابل أمس كرومر الذى طلبه لمناقشة المشروعات المختلفة . وسأله كرومر عن رأيه فى خطة ترشيح القضاة ، فقال المفتى إن قيمة هذه الخطة تتوقف على ما اذا كان القضاة ستعينهم الحكومة أم محكمة الاستئناف . فاذا كانت الأخيرة فسوف يتم اختيار رجال اكفاء واذا كانت الأولى فسوف تنقلب الحال . ثم استدعى ماكلورث فلما حضر تلقى فى وجود المفتى محاضرة من كرومر عن ضرورة استشارة أرقى رأى عند الاهالى ، ولا سيما رأى المفتى . وهو (المفتى) راض الآن لانهم سيتخذون مشروعا معقولا . كما شكوا من السلطة الاضافية التى وضعت فى ايدى الشرطة بحالتها الفاسدة الراهنة . ويقول إن الخديو غاضب منه جدا بسبب اصراره على أن يسدد (الخديو) مبلغ العشرين الف جنيه كاملا لقاء صفقته مع الأوقاف ، وأنه يبذل كل ماوبسعه لاقصائه عن منصب المفتى . ومع ذلك فعبداه راسخ فى مركزه الآن بحيث لا يقيم أهمية كبيرة على مايحوكة الخديو ضده ، ويبدو حقيقة كما لو كان نفوذه قد أصبح فى النهاية على ماكان يجب أن يكون عليه من البداية ، أى أن يكون أعلى شخص فى مصر . وروحه المعنوية مرتفعة جدا . وقد هنأته على قرب تعيينه رئيسا للوزراء . فكرومر يسند المفتى الآن . والخديو فى غاية الغباء لأنه يسمح للشعور الحقيقية بالمرور دون اعتراض ، ولا يتدخل الا فى التوافه .

١١ ديسمبر

حديث أكثر طرافة مع عبده . مازال الخديو غاضبا جدا عليه حول مبلغ العشرين الف جنيه ثمن قطعة الارض التابعة للأوقاف ، وهو يحاول الانتقام من المفتى باثارة معركة جديدة على أسس دينية تتصل ببنك الادخار المقترح انشاؤه . وقد أساءت فكرة هذا

البنك (صندوق التوفير) للمسلمين التقليديين ، لأنه يسمح للمودعين بالحصول على فائدة على أموالهم ، الامر الذى تحرمة شريعته. أما عبده فقد أصدر ، بصفته مفتيا ، فتوى حول الموضوع . وأوصى فيها بتغيير صيغة المرسوم بإنشاء البنك ، ولكن الخديو اتخذ ضده خطأ دينيا متشددا وأدان المشروع بأكمله ، مع أنه يودع أمواله بغير تدقيق نظير فائدة فى كل مكان ولا يخفى ذلك . غير أن كرومر يؤيد عبده . ولهذا فلا خطر فعليا عليه من المكيدة . وفى هذا كله وكثير غيره يتصرف الخديو بطريقة غير معقولة فيسمح للشروع الحقيقية بالمرور بغير احتجاج ولا يتدخل الا فى التوافه .

٢٥ ديسمبر

جاء المفتى بعد الظهر بصحبة (احمد) المنشاوى باشا ، وهو نفسه الذى لعب دورا مشرفا وقت ضرب الاسكندرية فأنقذ حياة كثيرين من المسيحيين فى طنطا ، بالقرب من قريته . وقد منحته الحكومة الانجليزية وساما بعد الحرب تقديرا لانسانيته ، ولكن كرومر اضطهده منذ ذلك الحين بدعوى أنه من أنصار الخديو . وهو رجل ثرى جدا ، تبرع مؤخرا بمبلغ ١٤ الف جنيه للمفتى لانفاقه على مختلف الأغراض الاسلامية . ومازال قلقا من ناحية الخديو الذى قام بالضغط على عدد من شيوخ الأزهر حتى يكتبوا اليه ملتصا بعزل المفتى على اساس عدم التقى ، تماما مثلما فعل محمد على مع الشيخ السادات زمن الجبرتى (المؤرخ الذى طالع بلنت كتابه وانهاه قبل يومين) ويقول لى (عبده) انه برغم كل مامر به فى حياته لم يفقد الا صديقين ، وانه جعل مبدأه دائما العفو والمغفرة .

١٧ يناير (الاحد) ١٩٠٤

عاد المفتى من الاسكندرية حيث ذهب لمقابلة الخديو الذى استقبله - كعادته - بالابتسامات والنكات ، مع أنه كان يبذل كل مايسعه للوصول الى موافقة كرومر على عزله . وقد حمل له الخديو ضغنا جديدا بسبب اصداره فتاوى لبعض المسلمين من الترنسفال (جنوب افريقيا) ردا على ثلاثة أسئلة وجهوها اليه :

١ - هل يجوز أن يأكل المسلم فى بلد أجنبى (غير مسلم) لحما غير مذبوح على الطريقة الشرعية ؟

٢ - هل يجوز أن يرتدى المسلم القبة فى بلد أجنبى ؟

٣ - هل يجوز للشافعى أن يصلى خلف الحنفى بدون تسمية ؟ (١)

وعلى هذه الاسئلة الثلاثة جميعا أجاب محمد عبده بالايجاب . ولكن الخديو الذى يأكل هو نفسه ويرتدى قبة ولا يصلى حين يسافر الى أوروبا أو عز بأن يعد هذا القرار موقفا من الدين . ومع ذلك فكرومر يؤيد عبده ، وهو وضع غريب .

٢٢ يناير

كان المفتى عندنا اليوم على غداء يوم الجمعة المعتاد فى الحديقة تحت « تعريشة » الخيزران . انه يعانى قلقا جديدا بسبب وفاة أحد شيوخ الأزهر التى ستؤدى الى أزمة أخرى مع الخديو فيما يتعلق بمن يخلفه . ومن حسن الحظ أن سموه ، أو « فتانا » كما يسميه المفتى ، سينشزع فى رحلة باتجاه حدود طرابلس (ليبيا) تريح منه الجميع قليلا . ويرجو المفتى أن يكون هو نفسه فى الخرطوم عند ذاك . وقد وعدنى بأن يبحث هناك حقيقة الشعور

(١) راجع النصر العربى للفتوى عند رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ، المصدر نفسه ، ص ٦٧٦

فى السودان تجاه النظام الجديد (بعد اعادة فتح السودان على ايدى الانجليز واحتلالهم له)

تحدثنا طويلا فى حديث مشوق حول ايام الممالك فى مصر وحول احوال اليهود فى الجزيرة العربية قبل ظهور محمد (ﷺ) وغير ذلك من أمور تاريخ الشرق التى يعلمها جيدا . ولست أعرف صحبة سارة ، أو صحبة تتحسن ، مثل صحبته ، وهى كل مانملك هنا لأننا لا نرى أحدا من الأوربيين . فنحن فى حالة عزلة الآن مع المسئولين الانجليز ، ولكن هذا لا يهم . وطالما أن مصر لم تضم للتاج البريطانى فسوف أمضى فى معارضتى .

تحدث (عبده) أيضا حول ميول الخديو التجارية التى يمارسها دون اعتبار لوضعه السياسى . فهو يستأجر ويؤجر « المعدادات » على الترع . ويحاول احتكار الصيد فى مختلف الأماكن على حساب الفقراء . وقد لاهه كرومر على ذلك . وقال له أنه يجب أن يختار بين كونه خديويا وكونه تاجرا ، وكرومر على حق فى هذا . ولكن جميع أفراد أسرة محمد على كانوا تجار مهرة . أما عباس كما يقول عبده - فلا يهمه شىء سوى جمع المال .

٤ فبراير

يقول محمد عبده إن جورست (السير إدون جورست المراقب المالى والمندوب السامى فيما بعد) كان يساعد الخديو فى الفترة الأخيرة فى مضاربته المالية ، وأن هناك أقاويل بأنه سيتترك الخدمة فى مصر .

النهاية : خسارة عامة للعالم الاسلامي

يستمر بلنت فى تسجيل يوميات على هذا النحو العفوى ويستمر علاقته بمحمد عبده فى توهجها ونضجها . يقول بلنت :

١٤ فبراير ١٩٠٤

تغذى المفتى معنا . وتحدثنا عن تاريخ مصر . وقال ان النظام المملوكى الشركسى فى آخر مراحلها كان فاسد الاساس منحل الاخلاق . ولكن هذه لم تكن حال الممالك الاوائل الذين كانوا - اساسا - من العبيد الذين جاء بهم صلاح الدين (الايوبى) الى مصر . أما الممالك الأواخر فلم يتفوق عليهم أحد فى جرائمهم بما فى ذلك العثمانيون والفرنسيون أيضا . فقد كان يحلو لهم أن يختبروا مضاء سيوفهم فى محلات السلاح على المارة فيقطعون رؤوسهم أو يشظرونهم نصفين عند الخصر .

كان محمد عبده ، وهو يروى هذه الحكايات ، يجلس على الأريكة وقد استقرت عمامته على رأسه ، وبدأ كتركى رهيب يؤشر أثناء حديثه بسيف وهمى . كما روى حكمة سديدة للسيد جمال الدين يقول فيها : « العدالة توجد حيث تلتقى القوى المتكافئة » ومعناها أن الاستبداد لا يتوقف الا اذا وقفت قوة المقاومة عند المحكوم فى وجه قوة الحاكم . وهذه اشارة الى سلبية المصريين فى ظل الباطل .

وثمة فضيحة جديدة فى القاهرة . فقد دعا الخديو محظيته
المجرية الى حفل راقص بالقصر مما أشعر زوجات القناصل
بالإساءة ففكرن فى إثارة القضية على الملا ، ولكن كرومر هذا
خطأهن .

٢٩ فبراير

صحبت كوكريل (صديقه الذى جاء من انجلترا لزيارته فى
مصر) فى زيارة للمفتى الذى وجدناه فى الفراش مصابا
بالأنفلونزا ، ولكنه حدثنا بحكمته المعتادة . ولما تطرق الحديث الى
الاقتراح الذى قدمه (الشيخ) على يوسف (محرر صحيفة
« المؤيد » الموالية للخديو) للجمعية الوطنية (البرلمان) وطالب
فيه بإنشاء حكومة برلمانية فى مصر اعترضت على كلمة « انشاء »
على أساس أن مصر عرفت الحكومة البرلمانية قبل ٢٢ سنة ، ولكن
عبده قال ان احياء الفكرة هنا اليوم مكيدة ، وأنه عارضها - دون
جدوى - لأنها طرحت على التصويت ونالت اغلبيه . واعتقد أنه
(عبده) كان على خطأ فى هذا ، لأن البرلمان - سواء جاء
بالمكيدة أو بغيرها - هو خير فرصة فى مصر للتخلص من فرض
الرأى الذى يمارسه الانجليز . وقد أعلن كرومر أن هذا الاقتراح
ليس من اختصاص الجمعية (الوطنية) ويقول عبده إن جورست
(خليفة كرومر) يعاون الخديو بالتاكيد فى مضارباته التجارية .
وقد نشبت بينه وبين كرومر معركة حول هذا الموضوع . وليس من
المتوقع أن يحتفظ (جورست) بوظيفته هنا كمستشار مالى .
(لم يحتفظ جورست طويلا بوظيفته هذه على أى حال ، فقد
سافر الى أوروبا قبل شهر تقريبا بحجة اقناع الحكومة الفرنسية
بالموافقة على الغاء « صندوق الدين » الذى أنشأته انجلترا
وفرنسا فى مصر لمراقبة المالية المصرية فى أواخر عهد
اسماعيل . ولكن الحكومة الفرنسية وافقت بعد بضعة أشهر

(١٩٠٤) على اطلاق يد انجلترا فى مصر مقابل اطلاق يد فرنسا فى المغرب . أما السبب المباشر لمغادرة جورست مصر فكان خلافه الشديد مع كرومر . وقد روى بلنت فى يومية ١٠ مارس ١٩٠٤ قصة هذا الخلاف أو ماسماه « المعركة » . وملخص القصة أن سيدة انجليزية صديقة لملك بريطانيا زارت مصر فى شتاء ١٩٠٣ فلم يعجبها طريقة الاستقبال الفاتر الذى لاقته من زوجة كرومر ، فى حين استقبلها جورست بالترحاب . وقيل أنها بدأت منذ تلك اللحظة فى تدبير مكيدة لكرومر بالاشتراك مع جورست وتشجيع من الملك الذى شكت اليه السيدة . ومن هنا نبتت فكرة خلع كرومر واحلال جورست محله . ثم تعقدت الأمور فى غير مصلحة كرومر حين احتد على الخديو وخيره - كما روى محمد عبده لبلنت - بين أن يكون خديو أو تاجرا . واسرها الخديو فى نفسه حتى زار انجلترا فى صيف ١٩٠٢ وطلب عزل كرومر . ولكن المسئولين الانجليز فضلوا أن يعزلوه بطريقتهم الخاصة ، أى على مهل بعد أن تنتضج الثمرة . فلما استمر الخلاف بين كرومر والخديو خير كرومر نفسه حكومته بين عزل الخديو أو قبول استقالته . هو شخصيا . وكان جورست عند ذاك قد قوى مركزه بعد عودته الى انجلترا واصبح وكيلا للخارجية مع وعد بتعيينه سفيرا . وتخلصت الحكومة الانجليزية من ابن كرومر - الذى اشيع أنه سيخلف أباه - بتعيينه فى طهران . وهكذا ضيق على كرومر حتى يتصرف تبعا للموقف . ومع ازدياد خلافه مع الخديو انتهى الى تقديم استقالته - فلما منه فيما يبدو أن الاستقالة ستسوى - فقبلت الاستقالة على الفور ، وكان ذلك فى صيف ١٩٠٧ ، وعين جورست محله على الفور . ثم يكمل بلنت القصة :

١٠ مارس

زرت المفتى فى المساء ورويت له القصة الكاملة لمعركة

جورست وكرومر : فأنا لا أخفى عليه شيئا ، وكذلك هو . ولذا نعرف كل شيء فيما بيننا . وقد علق على ما رويته بأنه يتفق مع كل ماسمعه ولاحظه هو نفسه خلال العام الماضى ، فقد حاول الخديو أثناء وجوده فى لندن أن يفتح فى وزارة الخارجية موضوع تقاعد كرومر ولكنه لم يجد ترحيبا . وخلال هذا الشتاء حدث كرومر عبده عن نقاد صبره مع جورست . وهكذا كان عبده على أتم استعداد لما رويته له . فهو يعرف كل شيء عن الدسائس المالية التى شجع جورست الخديو عليها ، ومنها على سبيل المثال سماحه للخديو بشراء أرض مريوط الشاسعة من الحكومة بمبلغ زهيد جدا . كما ساعده بطرق أخرى على جمع المال على حساب الحكومة تقريبا . وقد طرب (المفتى) كثيرا عندما سمع دور السيدة (الانجليزية) فى المكيدة . وقد سمع به من خلال صديق تصادف أن كان على ظهر الباخرة التى اقلت الخديو فى الصيف الماضى الى القسطنطينية . فقد راح سموه يزهو أمام زملائه المسافرين بأن شخصية انجليزية كبيرة قد وعدت بالتخلص من الشيخ محمد عبده لأجل خاطره . وقد ناقش عبده هذه الواقعة مع صديقه مصطفى باشا فهمى (رئيس الوزراء)

(كان بلنت قد رتب القيام برحلة الى الشام بعد أيام واقترح على صديقه محمد عبده مصاحبته ولكن الأخير اعتذر من عدم الذهاب قبل أيام من بدء الرحلة)

١٥ مارس

زارنا المفتى اليوم . وتحدث عن ذهابه معنا الى دمشق ، ولكنه رأى من الخير ألا يفعل ، وقال : « اذا سافرنا أنا وانت الى دمشق فسوف يغضب السلطان ، وسيظن أننا جنأناها لأعلان الخلافة العربية .

(وسافر بلنت مع زوجته ثم عادا فى ٢١ مارس)

عيد الفصح . تعشيت مع المفتي وناقشنا الشؤون الاسلامية وروى لى حكاية مسلية عن حادثه وقعت له اثناء منفاه فى دمشق (يقصد بيروت) فقد كان بلندن فى ذلك الوقت (١٨٨٢) قس (انجليزى) يدعى اسحق تيلور اعتنق فكرة اقامة اتحاد بين الكنيسة الانجليزىة - بعد اصلاحها - والسلطة الدينية الاسلامية على أساس عقيدتهما المشتركة فى التوحيد . وقد شجعه على ذلك ميرزا باقر الايرانى (سكرتير بلنت سابقا) الذى حمل الفكرة الى سوريا وروج لها الى حد ما ، وحصل على عطف محمد عبده عليها ، وكتب عبده رسالة الى تيلور وقعها بامضائه مع اثنين من كبار علماء دمشق . وسر تيلور بالطبع ، ونشر الرسالة فى الحال بصفتها تعبير عن الراى العام لعلماء المسلمين فى دمشق ، ورتب عليها ان الاتحاد بين المسيحيين والمسلمين على وشك التحقق . وبلغ ذلك مسامع السلطان . ومع ان الرسالة المنشورة لم تحمل اى اسم لأحد من كتابها فقد تلقى السفير التركى فى لندن تلغرافا على الفور ، وأمر بالبحث عن أسماء الموقعين الخمسة . وقام تيلور دون ادراك للخطر باطلاع السفير على الأسماء فصدر امر بنفى الخمسة جميعا من سوريا . ومع ذلك احتج عبده قبل مغادرته دمشق . واتيحت له فرصة مناقشة ماحدث مع السلطان ، ففهم ان سر انزعاج السلطان يرجع الى ظنه ان انجلترا اذا تحولت الى الاسلام فلا بد ان يدخل العاهل الانجليزى الاسلام بناء على هذا ، وبذلك يصبح اقوى شخصية فى ديار الاسلام ، وتنتقل الخلافة على نحو طبيعى الى الملكة فيكتوريا (ملكة بريطانيا فى ذلك الوقت) برغم انف التعصب العثمانى للخلافة ذاتها .

غادرنا الشيخ عبيد الى انجلترا . وقد ودعت محمد عبده امس .
كان قد كتب رسالة الى تولستوى (الأديب والمصلح الروسى)
ترجمتها أن الى الانجليزية . (نشرها بلنت فى ملاحق هذا الجزء
الآخر من اليوميات) وصلت أخبار الاتفاق الانجليزى الفرنسى
(المسمى "الاتفاق الودى") على مراكش (المغرب) ومصر ،
وكننت اتوقعه منذ زمن طويل . أما بالنسبة لمصر فالشروط أكثر
اجحافا ، لأنها لم تمس الحالة السياسية . ولكنه سيكون يوما
تعيسا على مراكش . وأما هنا فسوف يندفع الناس الى التخمين .
وقد روى لى عبده تفاصيل مساحة الألف فدان التى منحت امتيازا
لكاسل (صديق ملك بريطانيا وشريك الخديو ومقرضه المال)
(فى ٧ يونيو تأكد بلنت وهو فى لندن من أخبار خلافة جورست
لكرومر ، وكتب فى يومياته أنه أرسل الى محمد عبده خطابا حول
الموضوع وضمنه أخبارا عن احتمال تغيير النظام فى مصر بعد
تولى جورست . وفى ١١ نوفمبر عاد بلنت الى مصر ، ووصل داره
فى ٢٨ نوفمبر وكتب :)

٢٨ نوفمبر

روى لى عبده خلاصة لكل ماحدث خلال الصيف . وكانت
الحادثة الرئيسية هى مغامرة الشيخ على يوسف التى تورط فيها
الخديو . فالخديو ، منذ زيارته الاولى للندن وتعرفه الى مليكنا ، قد
مال الى حياة اللهو مع النساء السيئات السمعة ، وأحاط نفسه
برفاق السوء . ودخل فى هؤلاء الشيخ على يوسف الذى كانت
علاقته بالبلاط أدبية فى الاصل ، ولكنه اصبح سميرا وانضم الى
بطانة السوء . ومع أنه لم يعد شابا فقد تصابى فى صحبة الخديو .
وكان الأخير يجلب من النساء ابنة الشيخ السادات التى منعها أبوها
من الزواج بدافع الارتزاق من ورائها ، مع أنها الآن فى السابعة
والعشرين وكان مركزه كشيخ (نقيب) لأشراف المسلمين يتيح له

فرض هدايا غالية على طالبى يدها الذين لا يلبث أن يرفضهم بعد ذلك . ولكن الفتاة ثارت على تأخر الاذن لها بالزواج . وعن طريق الشيخ البكرى الذى تزوج شقيقتها الكبرى تعرف اليها الخديو ، ثم رشحها زوجة لعلى يوسف . فتقدم الأخير طالبا يدها بمساندة عباس ، ولكن الموضوع انتهى باللعبة القديمة التى تبدأ بالهدايا وتنتهى بتأجيل الزواج . وسئم على يوسف الموقف فدبر مع البكرى أن تهرب الفتاة معه ، وهروب الفتيات الآن أمر لم يسمع به أحد فى الاسلام ، فضلا عن أنه يحمل طابع السرقة ، مثله مثل سرقة ابنة الرجال دون دفع المهر المعتاد .

وقد شاع أمر الفضيحة التى تسبب فيها على يوسف ، واتسع نطاقها فى كل مكان ، ولم يخفف منها أن اللورد كرومر قرر فى النهاية وضع حد للنزاع فنصح الفتاة بالعودة الى أبويها . ويقول محمد عبده ان وضع الخديو فى القسطنطينية وضع من استخدمه السلطان للتجسس لحسابه على مايجرى فى مصر . ولذلك فقد شعبيته .

١٠ يناير ١٩٠٥

جلست أمس لمدة ساعة فى الحديقة مع المفتى . وكان بصحبته رجل يدعى محمد بك طلعت حرب ، فى غاية الذكاء يقوم بكتابة تاريخ العرب ابتداء من محمد (ﷺ) الى اليوم ... حاول الخديو فى الفترة الأخيرة أن يحسن علاقته بمحمد عبده .

٢١ يناير

ذهب محمد عبده الى السودان للنظر فى مختلف الامور المتعلقة بمصالح المسلمين .

عاد محمد عبده من الخرطوم سعيدا بما رآه هناك . ويقول ان الحكم يدار بطريقة أفضل مما فى مصر ، وإن الناس راضون ، ولا سيما فيما يتعلق بمسألة تجارة الرقيق ، وإن التعليم معقول فى الكلية (كلية جوردون) ، وإن قانون العقوبات السودانى أبسط وأفضل من نظيره المصرى . ويرى أن حكم ونجت (الجنرال السير ريجنالد ونجت حاكم السودان) يتميز بالاعتدال . وهناك مشاعر طيبة بين الانجليز والسودانيين .

(كان بلنت قد مرض بالحمى فى ديسمبر ١٩٠٤ ، واشتدت عليه فترة طويلة . ولم يجد مفرا فى النهاية من العودة الى انجلترا)

غادرت الشيخ عبيد فى الصباح . ويبدو لى ان هذه المغادرة ستكون الى الأبد . إن المكان عزين على نفسى جدا . بشمس الساطعة دائما وحيواناته المفترسة وطيوه . ياويل ! من سيرعى هذا كله حين اذهب ؟ لقد جاء عبده لتوديعى . بمحطة القاهرة . وظللنا نتحدث حتى آخر دقيقة ، وكل منا يودع صاحبه وداعا حزينا [وحين افترقنا لم يخطر لى على الاطلاق انى ساراه مرة أخرى . ولكنى لم أمت ، وانما مات هو خلال السنة]

(لقد جاء بلنت الى لندن للعلاج من الحمى والأمها المبرحة . ومات صديقه وهو يكاد يكون غائبا عن وعيه بسبب الحمى المتجددة . بل انه انقطع عن تسجيل يومياته حتى ٢٨ يوليو ، أى بعد أيام من وفاة صاحبه فى الاسكندرية بعد مرض لم يمهله طويلا . وحين وصل خبر الوفاة الى صاحبه بلنت نهض الى يومياته وكتب :)

ان الخطب العظيم الذي يعطو على سواه هو ان محمد عبده مات ! انها خسارة شخصية فظيعة بالنسبة لى ، وخسارة عامة لا يمكن حصرها البتة بالنسبة للعالم الاسلامى . ولا نستطيع ان نغالب الخوف من أن يكون فى الامر شيء . فالوفاة كانت مفاجئة للغاية ، والمفتى كان له اعداء سياسيون كثيرون .
(لبث بلنت ، بعد ذلك ، يسأل كل من لاقاه فى انجلترا من المصريين عن سر وفاة صديقه ، وماذا كان قد اهمل علاجه او دس له السم . وحين انتهى ذلك العام كتب ينعى صديقه ويشكو الزمن مرة أخرى :)

٣١ ديسمبر ١٩٠٥

حين انظر الى العام الماضى اراه يتجسد لى عاما فظيعا . ولكنه جاءنى بكثير من ألوان التعزية . فخلال الاسابيع الستة الاخيرة قابلت فى لندن عددا من الاصدقاء اكبر من عدد الذين قابلتهم فى السنوات الست الماضية . لقد توقفت عن ازعاج نفسى بالشئون العامة . ولن اعود مرة أخرى الى مصر ، بعد أن مات المفتى ، بل لا اظن أننى سأعبر القنال (الانجليزى)
(ثم ابدى بلنت رغبته فى قضاء ماتبقى من عمره - بعد شفائه - فى انجلترا بين زوجته واصدقائه وابنته الوحيدة وحفيديه . ولم يعد الى مصر بعدها ولم يعبر القنال الانجليزى أيضا . ولكنه ظل على اتصال بأحوال مصر من خلال زعماء الحركة الوطنية وأنصارها الذين كانوا يترددون على لندن ، ويزورونه فى بيته ، مثل مصطفى كامل ومحمد فريد وطلاب الجامعات الانجليزية الوطنيين مثل عبد السلام جمعة وأحمد عبد الغفار ، وسواهما ممن كانوا يدرسون فى

لندن وأوكسفورد . ومالبت أن باع بيته وحديقته فى مصر (الشيخ عبيد) وعاش حياة هادئة حتى توفي عن ٨٢ عاما سنة ١٩٢٢)



ونستطيع - بعد هذا كله - أن نستخلص من كتابات بلنت ويوميياته صورة لما كان عليه محمد عبده فى شبابه وكهولته وشيخوخته . فهو فى مرحلة الثورة العرابية مثقف وطنى مستنير حريص على الاصلاح والدستور والحكم النيابى . وهو فى مرحلة المنفى بالشام وأوربا مجاهد وطنى بالكلمة والموقف معاد للاحتلال الانجليزى والاستبداد المحلى . وهو فى مرحلة العودة رجل واقعى معتدل الفكر والرأى لم يفقد حماسه للحكم النيابى بالرغم من فكرته عن « المستبد العادل » التى كانت تحوم فى ذهنه وكتاباته من حين لآخر .

ويلى ذلك بعد شخصى للصورة التى كان عليها ، ويتمثل هذا البعد فى وفائه الواضح لأصدقائه وقدرته على مغفرة أخطائهم ، فهو وفى لمصطفى رياض رئيس الوزراء حتى مع استبداده ، يلتمس له الاعذار ويدافع عنه ، بالرغم من نقده له أحيانا . ولكن هذه المرحلة فى حياته ربما أبرزت بعدا آخر شخصيا فى صورته ويتمثل فى ميله الى اتقاء الشرور وتجنب العواصف واحتماله دسائس الخديو .

ومن الواضح أن هذه الكتابات واليوميات قد ألقت الكثير من الاضواء على هذه الجوانب الموضوعية والشخصية فى صورة محمد عبده ، كما ألقت أضواء كثيرة أيضا على عصره ورجاله ، مثل عرابى وعباس وكرومر واسماعيل صديق ومدحت باشا التركى زعيم حركة الدستوريين وطلعت حرب وحافظ ابراهيم ومحمد رشيد رضا وعلى يوسف ، وغيرهم من الاسماء فى ذلك العصر . وفيها بعد هذا كله أضواء على تاريخنا الحديث وتاريخ محمد عبده نفسه الذى لم يكتب حتى الآن بشكل علمى موثق .

ملاحق

(الملاحق التالية تشكل بعض المراسلات
التي جرت بين بلنت والافغانى ومحمد
عبده ، وقد نقلناها عن كتاب « جوردون فى
الخرطوم » لبلنت)

من محمد عبده الى بلنت (عن الترجمة الانجليزية للنص العربى)

(القاهرة) فى ٢٥ ابريل ١٨٨٢

... أما ما يتعلق بترقية الضباط التى تضخمها الصحف الأوربية كثيرا فاسمحوا لى أن أجلو الحقائق .

أولا - لم تتم الترقيات بإرادة عرابى ورضاه ، ولا جاءت على سبيل الرشوة لكسب عواطف الضباط نحو عرابى ، وإنما تمت بمقتضى القانون العسكرى الجديد الذى يقضى بإحالة الضباط الى التقاعد لقاء معاش عند بلوغهم سنا معينة أو فى حالة مرضهم أو انعدام كفاءتهم أو عجزهم . وقد بدأ تطبيق هذا القانون العسكرى فى عهد شريف باشا . وبناء عليه ضمت قائمة الاستيداع ٥٥٨ ضابطا . وتم إرسال ٩٦ ضابطا منذ عام إلى حدود الحبشة وزيلع وغيرها فى حين تم نقل ١٠٠ ضابط من الخدمة الى الوظائف المدنية . وبذا بلغ عدد المحالين الى التقاعد ٧٥٤ ضابطا . وهكذا كان من الطبيعى اجراء الترقيات لشغل الوظائف الشاغرة . ومازالت هناك خمسون وظيفة شاغرة مخصصة لطلاب المدرسة الحربية .

ولم يفرض السلطان رتبة الباشا على عرابى ، وإنما فرضها عليه الخديو الذى أصر على أن يكون جميع وزرائه من الحائزين على الرتبة .

أريد الآن أن أزيل من الأذهان الفكرة الخاطئة التى تزعم أن عرابى ، أو الحزب العسكرى ، أو الحزب الوطنى ، أدوات فى أيدي

الأتراك . فان كل مصرى ، عالما أو فلاحا ، حرفيا أو تاجرا ، جنديا أو مدنيا ، سياسيا أو غير سياسى ، انما يكره الأتراك ويمقت ذكراهم غير العطرة . ولا يوجد مصرى يخطر له أن ينزل بأرضه تركى دون أن يشعر بنبض يدفعه نحو سيفه ليخرج به الدخيل . إن الأتراك مستبدون ، خلفوا بمصر كوارث مازالت تدمى قلوبنا . ونحن لا نستطيع أن نتمنى عودتهم أو نتمنى أن تكون لنا بهم صلة . وما استقر الأتراك بمصر الا عن طريق الفرمانات . ولابد من ايقافهم عند هذا الحد فلا يتخطوه . ولكن اذا علمنا أنهم يحاولون تخطى حدودهم فلن نواجههم بالرفض التام . وقد مر بنا شيء من ذلك وأدى الى أن نستعد له . وسوف نستغل أى محاولة من هذا النوع فى الحصول على استقلالنا التام . وان سياسيينا الأتراك ليرقبون الآن كل حركة تقوم بها السياسة التركية فى هذا البلد حتى لا تتجاوز حدودها . ولا أنكر أن فى مصر أتراكا وشراكسة يناصرون قضية الباب العالى ، ولكنهم قلة قليلة لا تقاس بأولئك الذين يحبون بلادهم .

وأما مايتعلق بالمؤامرة الشركسية على حياة عرابى فهى لا تشكل فى الحقيقة خطرا جسيما . فالخديو السابق اسماعيل - أكبر عدو شهدته مصر يغار من سعادتها - لم يكف منذ وقت طويل عن تدبير المؤامرة للإطاحة بحكومتنا الحالية ، معتقدا أنه يستطيع بعمله هذا العودة الى مصر . ولكن الله القادر على كل شيء يبدد آماله أدراج الرياح فكل مصرى يعرف أن عودة اسماعيل معناها خراب مصر . ومع ذلك أرسل الفرعون ، لتحقيق أمله ، واحدا من أتباعه ، هو راتب باشا الذى أبعد عن البلاد ثم نجح فى دخولها بوسائل خسيسة فى عهد حكومة شريف باشا ، وانضم الى أخيه محمود أفندى طلعت البكباشى ، ثم ضم الى خدمته بعد ذلك يوسف بك نجاتى ومحمود بك فؤاد ابن اخت خسرو باشا وعثمان باشا رفقى (كلهم شراكسة) وعمل هؤلاء على تجنيد الناس لخطتهم التى استهدفت القضاء على وزرائنا الحاليين ، وقتل كبار

الضباط ابتداء من عرابي باشا . ونجحت جهودكم في ضم نحو أربعين من صغار الضباط قاموا بالقسم على تحالفهم . ولكنهم أجلوا تنفيذ الخطة ميدنياً انتظاراً لمسوغ . ثم وجدوا هذا المسوغ ممثلاً في سخط تسعة من الضباط الشراكسة عارضوا صدور الأمر اليهم بالخدمة في السودان . وأصبح حزب راتب باشا مدركا لما كان يدور بينهم فاستغل الموقف كي يوحى للشراكسة التسعة بأن يرفضوا الذهاب الا بشرط الترقية .

وقد كان لدى الوزارة ، منذ فترة طويلة ، شك في سوء التدبير الدائر . فمئذ فترة في بداية عودة راتب الى البلاد طلب محمود سامي - رئيس الوزراء الحالي ووزير الحربية وقتها - من شريف باشا - في حضور الخديو - أن يبعد راتب . وكان السبب في ذلك انه شك في أمر راتب وتخليه عن الخديو السابق في نابولي على هذا النحو المفاجيء . ولكن شريف رفض الطلب مع أن محمود سامي حذر به بأنه سيكون مسئولاً عما يمكن أن يقع يوماً ما من جراء بقاء راتب . وبسر ذلك الرفض أن راتب صهر شريف ، وربما كان - كما يعتقد الناس - شريكه في التخطيط لعودة اسماعيل .

لقد حدث على أي حال أن دعا حزب راتب أحد الضباط الشراكسة ، ويدعى راشد افندي انور ، الى الانضمام اليهم فرفض الضابط أن يكون له شأن بخطتهم ، ثم تركهم وجاء على الفور الى عرابي وافضى اليه بالخطة . ومن ثمة صدر الأمر بالقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة امام محكمة عسكرية .

ولم تؤد الحادثة الى اثاره كبيرة بين الناس . فالجميع يعرفون أن حياة عرابي ، وحياة الآخرين ، معرضة للأخطار كل يوم . وليس من الممكن لأي مخلوق ، مهما بلغ شأنه ، أن يجد التأييد من الجميع . ولكننا سنصبح لوقيل على الملا أن إنجلترا على وشك الفوضى لأن مجنوننا ، عسكرياً أو مدنياً ، حاول إطلاق الرصاص على مليكتكم .

إن مجموع الشراكسة في الجيش كله ٨١ شخصا . ولا يمكن

لعاقل أن يتصور أن عددا صغيرا كهذا قادر على قلب الحكومة .
 أما مسألة تجارة الزقيق فإن الوزارة الراهنة تبذل جهدها
 للقضاء على الرق المحلى . وليس فى الدين الاسلامى مايتعارض
 مع هذا على الاطلاق . بل ان المسلمين طبقا للسنة المحمدية محرم
 عليهم أن يملكوا العبيد الا اذا وقعوا اسرى حرب مع الكفار .
 وهؤلاء فى الحقيقة اما ان يكونوا اسرى اوسجناء حرب مشروعة ،
 أو يمتنون للكفار الذين يعادون أمراء المسلمين ولا تخميتهم عهود ولا
 موثيق . ولكن لا يباح للمسلم أن يسترق غيره . وهكذا فان الدين
 الاسلامى لا يعارض القضاء على الرق كما هو كائن فى العصر
 الحديث فحسب ، وانما يدين استمراره اصلا . واما اولئك السادة
 العلماء فى انجلترا وغيرها ممن يؤمنون بغير هذا الرأى فيجب أن
 يأتوا الينا وان يعلمونا ، نحن شيوخ الأزهر ، اصول ديننا ،
 وسيكون هذا مشهدا بأخذ الألباب فعند ذاك سيخرس العالم
 الاسلامى كله عندما يعرف أن مسيحيا تولى عنه تدريس اصول
 الدين الاسلامى وتفسير القرآن لعلماء اكبر جامعة اسلامية فى
 العالم واساتذتها وفقهائها .

وبعد أيام قلائل سوف يصدر شيخ الاسلام فتوى تثبت أن
 القضاء على الرق مطابق لروح القرآن والتقاليد الاسلامية والسنة
 المحمدية .

وستحاول الحكومة المصرية أن تزيل كل عقبة فى الطريق . وإن
 يهدأ لها بال الا بعد زوال الرق من الاراضى المصرية .

محمد عبده

(١) جاءت هذه الرسالة فى الجزء الأول من الأعمال الكاملة لمحمد عبده
 التى حققها الدكتور محمد عمارة (المؤسسة المصرية الحديثة ، بيروت
 ١٩٧٢) ولكنها جاءت بصورة غير دقيقة . راجع ص ٢٢١ - ٢٢٢

من محمد عبده الى الليدى بلنت (عن الترجمة الانجليزية للأصل العربى)

بيروت فى ١٢ رمضان ١٢٠٠ (ذكر بلنت انه تسلم الخطاب فى ٥ أغسطس ١٨٨٢) الى السيدة آن بلنت ، متعنا الله بمحياتها ،
الخ .

أما بعد ، فمن بين أولئك الذين لديهم معلومات عن الشغب فى الاسكندرية يوجد مصطفى عبد الرحيم الذى حضر الشغب ومنع تفاقمه بالجنود النظاميين التابعين لسليمان سامى (عليه رحمة الله) وهو مستعد للدلاء بشهادته اذا طلب منه ذلك . وقد ابغنى بهذا الليلة .

وأما أولئك الذين لديهم معلومات كاملة عن مسلك الخديو توفيق ومساعيه ، هو وأعوانه ، لتكدير الهدوء والسكينة فى مصر ، وإثارة المسلمين على المسيحيين والمسيحيين على المسلمين ، فيوجد منهم هنا احمد بك المنشاوى ، أحد أعيان مصر . وهو رجل ثرى ذو عزم واستقامة لا مزيد عليها . وكان قد قام بحماية المسيحيين اثناء حوادث الشغب فى طنطا وكذلك فى المذابح الأخرى التى جرت فى مديرية الغربية فى عهد مديرها ابراهيم باشا أدهم صنيعه الخديو الذى عين عقب ضرب الاسكندرية . والرجل (المنشاوى) على استعداد للدلاء بالشهادة ضد الخديو وعملائه امام أى قضاء أو أى محكمة - حتى فى مصر - ولا يخشى فى ذلك أى شئ ولا يهدده أى خطر . وقد كان فى نيته أن يكتب باختياره خطابا الى المستر بلنت ليعبر له عن استعداده ورغبته الحارة فى وضع مايعرفه من أمور امام الانجليز وكل ذى ميل الى العدالة والمساواة . وهو مقيم معنا الآن فى بيروت . واذا شتتم استدعاءه فلن يتأخر .

أرجو ابلاغ تحياتى الى المستر بلنت ونقل جزيل الشكر اليه على همته وأعماله الجليلة باسمى وباسم كل مصرى - وكل انجليزى ايضا . كما أرجو ابلاغ تحيتى الى السيد صابونجى .
شمك الله برعايته .

محمد عبده

من بلنت الى محمد عبده عن الاصل الانجليزى

لندن فى أبريل ١٨٨٤

الى صديقى العزيز النبيل العالم محمد عبده ، شهيد الحرية ،
أدام الله علمه .

أسعدنى كثيرا خطابك ، الذى فرغت حررنا الآن من ترجمته لى
كاملا ، فيما عدا مذكرته من أنك لا تستطيع الحضور بعد الى
انجلترا ، ولكنى أرسل لك مع هذا ماتحتاجه فى رحلتك من مال
راجيا أن تقيدنى بوصوله . وقد كتبت منذ أربعة أيام الى السيد
صنوع ورويت له شيئا عن حالة الراى هنا . ثم كتبت بعدها رسالة
ستتشر فى صحيفة « التايمز » غدا أو يوم الأربعاء . واقترحت فيها
حلا للمصاعب والعقبات الراهنة فى مصر . وأرجو أن يتفق ذلك مع
رايك ، لأنى اقترح فيها أن تعرض المسألة المصرية على مؤتمر
أوربى ، وأن ينسحب الجيش الانجليزى من البلاد ، وأن توضع
مصر تحت الحماية المشتركة من جانب الدول الكبرى ، وبذلك
تحكم نفسها وفق آرادتها .

واقترح أيضا أن يعقد الصلح مع المهدي ، وأن يستدعى
الجنرال جورديون من الخرطوم - ولم أنس أن أوصى بالغاء مراسيم
النفى للوطنيين المصريين . أما فيما يتعلق بمصر وسوريا والخلافة
العربية فأنت سيد من يعرف أرائى حولها لأنها نشرت بالكتاب الذى
ألفته منذ ثلاث سنوات وأقمته على توجيهاتك وأرائك المفيدة التى
نقلها الى صديقنا العزيز محمد خليل ^(١) (سلمه الله) وأما فيما

(١) تلميذ محمد عبده فى مصر الذى كان أول من علم بلنت العربية وقد
عرفه - قبل أن يعرف محمد عبده - عن طريق أحد موظفى الحكومة المصرية
من الانجليز .. وروى عنه بعد ذلك انه مات بالكوليرا سنة ١٨٨٣ .

يتعلق بمسلمى الهند فهذه هى أرائى التى أرجو أن تنقلها الى الأمير النبيل السيد جمال الدين (الذى أبعث اليه أيضا بتحياتى) حتى يطلع عليها وينقلها الى النواب رسول يار خان وعلماء حيدر آباد الذين أحطتهم علما بأفكارى ، حين تحدثت بصراحة الى جميع مسلمى الهند الذين قابلتهم ، وعلى ذلك فما هى أرائى المتعلقة بالهند .

بناء على المبادئ التى أعتنقها فى شئون السياسة فانى أرجو أن تتأسس الحرية والحكم الذاتى فى كل مكان ، فى الهند وغيرها من أقطار العالم الواقعة الآن فى ظل التبعية . وليست حقيقة أننى ولدت انجليزيا تجعلنى متعصبا لا أرجو تحقيق مزىة أخرى للهنود . ولست أتردد فى الموافقة على أى خطة حكيمه من شأنها أن تسرع بتحقيق حريتهم . وقد افنعتنى رحلتى الى الهند ، فى الوقت نفسه ، بأن شعب ذلك البلد ليس متحدا بعد على نحو يمكنه من تكوين أمة مستقلة لا تحمىها قوة خارجية ما . ولو كان جميع الهنود على مذهب واحد ولغة واحدة وجنس واحد كما هى الحال فى مصر ، لقلت لهم مثلما قلت لكم : باسم الله تقدموا ولا تخشوا شيئا . ولكن حالهم ليست هكذا . فإنى أرى أنهم قد يحررون أنفسهم من السيطرة الانجليزية التى يمتقونها . ولكنهم ليسوا على استعداد بعد أن يحلوا محل السيطرة شيئا ينفعهم . وارى أن عليهم التعلم والتأمل للحكم الذاتى ، والا ضاع جهدهم أدراج الرياح . ولهذا السبب قلت لهم ، وأقولها مرة أخرى ، أن اصبروا بضع سنوات ، وخططوا لتربيتكم السياسية فى ظل حكومة تسمح لكم بامتياز التربية هذا . وبعدها ستأتى اللحظة التى تقدرين فيها على الاتحاد وتكوين الأمة .

إنى أقول هذا للمسلمين بخاصة ، لأنهم ليسوا الا واحداً الى خمسة من سكان الهند . وهم الآن أقل من الهندوس والبرسيس فى التعليم . ومن ثمة يمكن أن تسوء حالهم فى ظل الحكم الوطنى أكثر

مما تسوء فى ظل الحكم الانجليزى . وعندما اقترحت عليهم تأسيس جامعة كنت أزجو أولا أن أتيح لهم مركزاً للوحدة من شأنه أن يضيف الى قوتهم ، لأن القوة فى الاتحاد - وكنت أرجو ثانيا أن أعدهم للعب الدور الكامل فى احياء بلدهم . ولكنهم اليوم بابتغادهم عن الشئون العامة والبقاء على جعلهم بالانجليزية ، التى هى اللغة الرسمية ، انما يضعون انفسهم فى وضع أدنى وأضعف ازاء اجناس الهند وأديانها الأخرى . ولذلك أرجو أن يقوم السيد العالم (الأفغانى) بتشجيع جماعة حيدر آباد - حين يكتب اليهم - على التقدم فى طريق هذا العمل الجليل وعدم ادخار الجهد فى الاتجاه الذى أوضحته .

أما فيما يتعلق بصحيفتكم فيسعدنى أن أبذل كل مايسعى لمعاونتكم . ولكنى أنصحكم بكل قواى أن تلتزموا الاعتدال فى لغتكم حين تكتبون عن الحكومة الانجليزية - لا بمعنى أن أى شىء تقولونه حول تصرفاتها فى مصر يمكن أن يتجاوز غضبى ونفاد صبرى - وانما لأنى أرى فى صداقة انجلترا خير أمل للاسلام . وصدقنى أنه بالرغم من سلوك انجلترا خلال هذا الموضوع كله مسلك عدو الدين فمازال بين الانجليز من يتعاطفون مع آمالنا لأمم الشرق أكثر مما نجد بين بقية الأوربيين أجمعين . فليس من الممكن أن تثق فى أن يعاملك الفرنسيون أو الروس أو النمسيون أو الايطاليون باخلاص كأصدقاء - ولأن الانجليز أقوى فى البحر من جميع الآخرين فلا بد من التعويل عليهم دائما ، وضمان صداقتهم قدر الامكان . وهذا أمر لم يتحقق بعد . ويؤسفنى أن أرى فى يوم من الايام شرخا لا يلتئم بين حزب الاصلاح فى الاسلام وبين الشعب الانجليزى ، ففكروا فى هذا الأمر مليا . وقد كانت انجلترا صديق الاسلام طوال قرون ، وانى لأجد بين الانجليز الآن جد كثيرين ممن يأسفون على تغير هذه السياسة ويدينون أى تغير فيها .

وها أنت ترى أننى تحدثت بصراحة وسجلت كل ما فى قلبى .
صديقك فى السراء والضراء

ويلفرد سكاون بلنت

من محمد عبده الى بلنت (عن الترجمة الانجليزية للأصل العربى)

باريس فى ١١ ابريل ١٨٨٤
الى صاحب السعادة صديقى العزيز ، صديق المسلمين ومعين
العرب ، والمدافع عن الأمة المصرية ، الخ .
بعد التحيات اليك والى المهدبة الفاضلة اللبدى أن بلنت -
وصلتنا رسالتك بالأمس ، ولما قرأناها وجدناها مفعمة بالحكمة
والنصائح النافعة للمسلمين ، وأكدت ثقتنا فيك كصديق لهم .
يقدم لك التحية السيد جمال الدين . وسوف يكتب ، على وجه
اليقين ، الى أهل الهند فى حيدر آباد وغيرها ، وينصحبهم بالتزام
الهدوء ، ويسكن البابهم على نحو ما اقترحت ، ويبسط لهم الفكرة
التي صغتها بوضوح فى رسالتك ، ويضع أمامهم التفاصيل
بأفضل أسلوب وأبسطه .

وأما بعد ، فقد اغتبطنا للنصيحة التي تكرمت بها علينا ووعدك
بمساعدة صحيفتنا (العروة الوثقى) وقد كان هذا أملنا فيك .
ومامن شك فى أن الله عز وجل قد خلقك لفعل الخير ومساعدة قضية
الحق والدفاع عن المظلومين . وهذا هو الوجه الحقيقى لصحيفتنا ،
فضلا عن خدمة تلك الأفكار التي تشقى من أجلها ، أعنى الحفاظ
على استقلال الأمم الشرقية ونصح الحكومة الانجليزية حتى
تتخلى عن مسلكها الذى يشقى عقول المسلمين ، وتسرع بمد يد
الصداقة اليهم ، وبذلك تضمن وقوفهم فى صفها . ونحن فى
الحقيقة لا نحب تلك الدول الكبرى الأخرى التي أشرت إليها فى
رسالتك ، ولا نحن نسير فى ركاب سياسة أى منها .
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

صديقك المخلص

محمد عبده

من جمال الدين الى بلنست (عن الترجمة الانجليزية للأصل العربي)

باريس في ١٢ مايو ١٨٨٥

بعد التحيات ، الخ .

أعرفك بأنى لست وحدى الشاكر لجهودك المرموقة التى أجبرت الحكومة (الانجليزية) على اجلاء قواتها عن السودان . بل أؤكد لك أن جميع المسلمين ، ولا سيما العرب ، سيشكرونك على صنيعك هذا أبدا الدهر ، وسينقشون اسمك على لوحات مرصعة بالأحجار الكريمة والقباب المجد والشرف لقاء حماسك وشجاعتك . غير أن ثمة شيئا واحدا مازال عليك أن تصنعه ، وهو أن تقول للحكومة : كيف تتركون هذا البلد (السودان) هكذا دون معاهدة مع المهدي ، وعلى من ستقع تبعة صد هجمات المهدي ؟ كيف يمكن للحكومة أيضا أن تدع طرق التجارة مغلقة ؟ أم هى تريد القضاء على التجارة ؟ اليس من الواجب على الحكومة حين تقرر الجلاء عن السودان أن ترسل رجلا مسلما موثوقا فيه الى المهدي حتى يتباحث معه فى أمر التوصل الى صلح يحمى مصر من هجماته ويغلق أبواب النزاع ويعيد فتح ابواب التجارة . أعتقد أن هذه المسألة لو عرضت على البرلمان لاجتمع الرأى بالموافقة عليها .

وأرى أيضا أن هذا أمر ميسور ، حتى بغض النظر عما تقوم به . فحين ينتهى حساب المسألة لن يحتاج منكم الا إكمالها . ولكن لا يمكن الوصول الى خاتمة نهائية للموقف كله بدون معاهدة صلح مع المهدي .

هذا مارأيت من الضرورى أن أنقله اليك .

مع تحياتى اليك والى حرمك

صديقك

جمال الدين الحسينى الافغانى

فهرس

- مقدمة ٧
- جمال الدين الافغانى
- المؤسس الحقيقى لحركة الاصلاح الدينى المستنير فى مصر ١٤
- يطلب الامان من الانجليز لمفاوضتهم على الصلح مع المهدي ٢٢
- راوغه الانجليز حول الجلاء عن مصر وتأسيس حكومة إسلامية بها ٣٥
- فكر فى اعادة الخلافة الى العرب ثم وضعه السلطان فى قفص من ذهب ٤٧
- محمد عبده
- الكيان الاسلامى يحتاج الى الاصلاح الدينى الصحيح ٦٢
- فى المنفى من الشام الى اوريا بين الصحافة والسياسة ٧٢
- رشحه بلنت وزيرا للاوقاف وعينه الخديو مفتيا للديار ٨٦
- بين نزوات الخديو عباس واستبداد اللورد كرومر ٩٨
- الخديو يكيد له واللورد يرضى عنه ١١٣
- النهاية : خسارة عامة للعالم الاسلامى ١٣٠

روايات الهلال تقدم :

البرية

الرواية الفائزة بجائزة نوبل هذا العام

تأليف : كلود سيمون

ترجمة : الدكتورة زينب عبدالعزيز

تصدر ١٥ يناير ١٩٨٦

كتاب الهلال القادم

رحلاتي حول العالم

بقلم : الدكتورة نوال السعداوى

يصدر ٥ فبراير سنة ١٩٨٦

مع الباعة

تقرأ فيه :

- رحلة العائلة المقدسة إلى مصر : البابا شنودة الثالث .
- مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ : د . صبرى منصور .
- ندوة الهلال الشعرية : يشارك فيها سبعة شعراء .
- هل مات الشعر في مصر ؟ : د . سيد إبراهيم
- الزيدية وظلها على التاريخ والجغرافيا : فهمى هويدى
- د . جمال حمدان العاشق العظيم لمصر : محمد أمين العالم
- الدولة العثمانية دولة مغترى عليها : فتحى رضوان
- كتاب جديد قديم «ما هنالك»
- كيف تنداعى وتنهار الدول : مصطفى نبيل
- سياسات عملية السلام العربى الاسرائيلى : تحسين بشير
- مهرجان السينما الحائر بين الفوضى والاستقرار : مصطفى درويش
- أدباء تصرعهم المخدرات : د . محمد رجب البيومى
- العقاد بين الكفر والايمان : محمد سيد الكيلانى
- محنة الاقتصاد والاقتصاديين في مصر : د . حازم البيلاوى .
- مع القصة والشعر والأبواب الثابتة

رئيس مجلس الادارة : مكرم محمد أحمد
رئيس التحرير : مصطفى نبيل

الثمن ٥٠ قرشا

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبد المال بسيوني زغلول -
الصفحة - ص. ب رقم ٢١٨٣٣ تليفون ٧٤١١٦٤

اسعار البيع في الخارج للعدد العادى فئة ٧٥ قرشا :-

سوريا ١٤٠٠ ق. س. لبنان ١٤٠٠ ق. ل. الاردن ٦٠٠ فلسس، الكويت
٩٠٠ فلسس، العراق ١٦٠٠ فلسس، السعودية ٧ ريالات، تونس ١٥٠٠
مليم، الخليج ١٢٠٠ فلسس، الصومال ١٣٠ بنى، لاجوس ١٢٠ بنى،
عدن ١٤٤ سنتا، لندن ١٥٠ سنتا، اثينا ٢٠٠ دراخمه، كندا ٥٠٠
سنت، البرازيل ٦٠٠ سنت، استراليا ٦٠٠ سنت، السودان ٢٥٠ ق.
سودانى، المغرب ١٥٠٠ فرنك، غزة والضفة ٧٥ سنتا، داكار ١٠٠٠ فرنك، اليمن
الشمالية ١٥ ريالاً، ايطاليا ٣٠٠٠ ليرة.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب جوانب ووقائع هامة في حياة كل من جمال الدين الأفغاني والاستاذ محمد عبده ، وهي جوانب لم تظهر تفاصيلها بالعربية من قبل .

سجلها الكاتب الانجليزي ويلفرد بلنت في أربعة من مؤلفاته الضخمة ، ومع أن كتابه عن إحتلال الانجليز لمصر قد ترجم الى اللغة العربية ونال إهتماما كبيرا ، إلا أن كتبه الأخرى لم تلق العناية الكافية ، ولعل ذلك لأنها مليئة بأحداث وشخصيات أخرى انجليزية وهندية ..

وهذا الجزء من تاريخ الأفغاني وعبده بالغ الأهمية ، لا يمكن كتابة تاريخهما وفهم حياتهما ونضالهما دون الرجوع الى هذه المادة التي تناثرت في كتب بلنت .

وبلنت كان من أوائل البريطانيين الذي ناصروا الحركة الوطنية في مصر والشرق ، وعرف رجالها معرفة شخصية ، وكان بيته مزارا لكثير من الشخصيات التي ارتبطت بهذه الحركة ، فعلاوة على الأفغاني وعبده ، كان يتردد عليه الزعيم أحمد عرابي والبارودي وعبدالله النديم وغيرهم .

وهو في هذا الجزء أقرب الى المؤرخين العرب القدماء في تسجيله للتاريخ . فهو يعتمد على اليوميات يسجلها أولاً بأول .

٧٥ قرش